التناسب والترتيب في سورة مريم وأثره في الإعجاز

2021
رسالة ماجستير
العلوم الإسلامية الأساسية

HUDA ABDULLAH ALI

إشراف

Dr. Öğr.Üyesi MOHAMMAD NADER ALI

T.C.
KARABÜK ÜNİVERSİTESİ
LİSANSÜSTÜ EĞİTİM ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ
YÜKSEK LİSANS

Meryem Suresindeki tutarlılık ve sıralama ve İ'caz üzerindeki etkisi

HUDA ABDULLAH ALI

إشراف
Dr. Öğr.Üyesi MOHAMMAD NADER ALI

KARABÜK
2021

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات 1
صفحة الحكم على الرسالة 4
تعهد 6
الإهداء 7
المُلخص 9
ARŞİV KAYIT BİLGİLERİ 12
ARCHIVE RECORD INFORMATION 13
قائمة المختصرات 15
المقدمة: 16
خطة البحث 18
الفصل التمهيدي: التعريف بمفردات عنوان الدراسة. 22
المبحث الأول: التعريف بالتناسب والترتيب وبيان أهميتها 22
المطلب الأول: تعريف التناسب لغة واصطلاحا. 22
المطلب الثاني: الترتيب لغة واصطلاحا. 25
المطلب الثالث: أهمية التناسب والترتيب. 26
المبحث الثاني: التعريف بالإعجاز وبيان أهميته ووجوهه، ويتضمن ثلاثة مطالب. 28
المطلب الأول: تعريف الاعجاز لغة واصطلاحا. 28
المطلب الثاني: أهمية الاعجاز 30
المطلب الثالث: وجوه الإعجاز 31
المبحث الثالث: التعريف بسورة مريم 34
المطلب الأول: ترتيب السورة وتسميتها وعدد آياتها. 34
المطلب الثاني: أهداف السورة ومحاورها. 36
المطلب الثالث: فضائل سورة مريم. 37
الفصل الأول: وجوه التناسب والترتيب الخارجية في سورة مريم 39
المبحث الأول: التناسب والترتيب بين سورة مريم والقرآن كله 39
المطلب الأول: التناسب بين سورة مريم وترتيبها في المصحف. 39
المطلب الثاني: وجوه التناسب والترتيب بين سورة مريم وبعض سور القرآن. 40

المبحث الثاني: التناسب والترتيب بين السورة والسور التي قبلها وبعدها 43
المطلب الأول: التناسب والترتيب بين سورة مريم والكهف 43
المطلب الثاني: التناسب والترتيب بين سورة مريم وطه. 45
المبحث الثالث: التناسب والترتيب بين سورة مريم والسور ذات المطالع المتشابهة والسور ذات المواضيع المتقاربة 48
المطلب الأول: التناسب والترتيب بين سورة مريم والسور ذات المطالع المتشابه..... 48
المطلب الثاني: التناسب والترتيب بين سورة مريم والسور ذات المواضيع المتقاربة. 49
الفصل الثاني: وجوه التناسب والتراتيب الداخلية في سورة مريم..... 52
المبحث الأول: التناسب والترتيب بين اسم السورة ومضمونها، وبين فاتحتها وخاتمتها، وبين مواضيعها وأهدافها 52
المطلب الأول: التناسب والترتيب بين اسم السورة ومضمونها..... 52
المطلب الثاني: التناسب والترتيب بين فاتحتها وخاتمتها..... 55
المطلب الثالث: التناسب والترتيب بين مواضيعها وأهدافها..... 56
المبحث الثاني: التناسب والترتيب بين كل آية وما قبلها وما بعدها..... 60
المطلب الأول: أوجه التناسب والترتيب بين الآيات في قصة سيدنا زكريا وابنه يحيى –عليهما السلام-. 60
المطلب الثاني: أوجه التناسب والترتيب بين الآيات في قصة سيدتنا مريم وابنها عيسى –عليهما السلام-. 62
المطلب الثالث: أوجه التناسب والترتيب بين الآيات في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام- وأبيه..... 65
المطلب الرابع: أوجه التناسب الترتيب بين الآيات التي تحدثت عن رد الشبهات التي يثيرها منكرو البعث والنشور..... 67
المبحث الثالث: التناسب والترتيب بين فواصل السورة ومقاطعها 70
المطلب الأول: التناسب والترتيب بين فواصل السورة. 70
المطلب الثاني: التناسب والترتيب بين مقاطع السورة..... 73
الفصل الثالث: أثر التناسب والترتيب في سورة مريم في الكشف عن وجوه الإعجاز..... 76
المبحث الأول: أثر التناسب والترتيب في الكشف عن وجوه الإعجاز اللغوي..... 76
المطلب الأول: التناسب والترتيب في الأساليب اللفظية وأثره في الإعجاز. 76
المطلب الثاني: التناسب والترتيب في الأساليب البديعة وأثره في الإعجاز. 85
المطلب الثالث: التناسب والترتيب في الأساليب البيانية وأثره في الاعجاز. 89
المبحث الثاني: أثر التناسب والترتيب في الكشف عن وجوه الإعجاز التاريخي. 94
المطلب الاول: الإعجاز التاريخي في قصة سيدنا زكريا وابنه يحيى –عليهما السلام-. 94

المطلب الثاني: الإعجاز التاريخي في قصة سيدتنا مريم وابنها عيسى –عليهما السلام- 96
المبحث الثالث: أثر التناسب والترتيب في الكشف عن وجوه الاعجاز في العلوم التجريبية 99
المطلب الأول: الإعجاز الطبي في قصة سيدنا زكريا –عليه السلام-..... 99
المطلب الثاني: الإعجاز الطبي في قصة سيدتنا مريم..... 104
المصادر والمراجع..... 109
السيرة الذاتية..... 118

صفحة الحكم على الرسالة

أصادق على أن هذه الرسالة التي أعدت من قبل الطالبة: هدى عبد الله علي الشعباني بعنوان " التناسب والترتيب في سورة مريم وأثره في الإعجاز" في برنامج العلوم الإسلامية الأساسية هي مناسبة كرسالة ماجستير.

Prof. Dr. MOHAMMAD NADER ALI ……..

مشرف الرسالة، العلوم الإسلامية الأساسية

قبول

تم الحكم على رسالة الماجستير هذه بالقبول من قبل لجنة المناقشة بالإجماع بالقبول بتاريخ 08/ 03/ 2021.

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
Prof.Dr.MOHAMMAD NADER ALI	رئيس اللجنة	.....
Dr.Öğr.Üyesi Ibrahim Hakki imamoğlu	عضواً	.....
.Dr. Öğr.Üyesi Ibrahim Yılmaz	عضواً	.....

تم منح الطالب بهذه الأطروحة درجة الماجستير في قسم العلوم الإسلامية الأساسية من قبل مجلس إدارة معهد الدراسات العليا في جامعة كارابوك.

Prof. Dr. Hasan SOLMAZ ……

مدير معهد الدراسات العليا

TEZ ONAY SAYFASI

HUDA ABDULLAH ALI tarafından hazırlanan “Meryem Suresindeki tutarlılık ve sıralama ve İ’caz üzerindeki etkisi” başlıklı tezin Temel İslam Bilimleri olarak uygun olduğunu onaylarım.

Dr. Öğretim Üyesi MOHAMMAD NADER ALI .....

Tez Danışmanı, Temel İslam Bilimleri

Bu çalışma, jürimiz tarafından Oy Birliği/Oy Çokluğu Seçiniz ile Temel İslam Bilimleri Anabilim alanında Yüksek Lisans tezi olarak kabul edilmiştir. 08.03.2021.

Ünvanı, Adı SOYADI (Kurumu) **İmzası**

Başkan : Dr. Öğretim Üyesi MOHAMMAD NADER ALI (KBÜ) .....

Üye: Dr. Öğretim Üyesi Ibrahim Hakki imamoğlu (KBÜ) .....

Üye: Dr.Öğr.Üyesi Ibrahim Yılmaz (ATAT) .....

KBÜ Lisansüstü Eğitim Enstitüsü Yönetim Kurulu, bu tez ile, Yüksek Lisans derecesini onamıştır.

Prof. Dr. Hasan SOLMAZ .....

Lisansüstü Eğitim Enstitüsü Müdürü

تعهد

أتعهد بأني قد كتبت رسالتي للماجستير وفق الضوابط العلمية والأخلاقية المتَّبعة ولم أتبع أي طريقة تتعارض مع هذه الضوابط والتقاليد العلمية، وقد استفدت من المؤلفات التي بينتها في المصادر وذلك بطريقة الاقتباس العلمي، وفي حال العثور على موقف مخالف تجاه هذا البيان الذي قدمته والمتعلق برسالتي، فإنني أتحمل كافة التبعات والنتائج الأخلاقية والقانونية حال ثبوت أي موقف مخالف.

BEYAN BELGESİ

Yüksek lisans tezi olarak sunduğum bu çalışmayı bilimsel ahlak ve geleneklere aykırı herhangi bir yola tevessül etmeden yazdığımı, araştırmamı yaparken hangi tür alıntıların intihal kusuru sayılacağını bildiğimi, intihal kusuru sayılabilecek herhangi bir bölüme araştırmamda yer vermediğimi, yararlandığım eserlerin kaynakçada gösterilenlerden oluştuğunu ve bu eserlere metin içerisinde uygun şekilde atıf yapıldığını beyan ederim. Enstitü tarafından belli bir zamana bağlı olmaksızın, tezimle ilgili yaptığım bu beyana aykırı bir durumun saptanması durumunda, ortaya çıkacak ahlaki ve hukuki tüm sonuçlara katlanmayı kabul ederim.

Adı Soyadı: HUDA ABDULLAH ALI

İmza :

الإهداء

* إلى من رباني على حب العلم صغيراً، وحقق الله حلمه وأنا كبيراً، وبذل الغالي والنفيس في سبيل وصولي في طلب العلم، ورحل قبل أن يرى ثمرة غرسه.

أبي الغالي –رحمه الله-.

* إلى من رحل بجسده عن دنيانا، الباقي في قلوبنا، الخالد في عالمنا، عمي الغالي والد زوجي –رحمه الله-.

* إلى من كانت دعواتها وكلماتها رفيق الألق والتفوق نور عيني، وضوء دربي، ومهجة حياتي، أمي الحنونة –أطال الله بعمرها-.

* إلى ينبوع الصدق الصافي التي تفيض حباً وحناناً إلى التي لا نرى الأمل إلا من عينيها، عمتي الغالية والدة زوجي أطال الله بعمرها.

* إلى أروع من جسد الحب بكل معانيه، فكان السند والعطاء، قدم لي الكثير في صور من صبر وأمل، لن أقول شكراً بل سأعيش الشكر معك دائماً – زوجي الغالي-.

* إلى من أشعر معهم بالأمن والأمان والعز والكبرياء، رفقاء دربي إخوتي وأخواتي.

* إلى من تسعد عيني برؤياهم ويطرب قلبي بنجواهم وتهدأ نفسي بلقياهم ويبسم الثغر لمحياهم ثمرة فؤادي –أقداس وأسلم-.

أهدي جهدي المتواضع.

الباحثة

الشكر والتقدير

في البداية الحمد والشكر لله، جل في علاه، فإليه ينسب الفضل كله في إكمال هذا البحث، والكمال له وحده.

بعد شكري لله أتقدم بالشكر والامتنان لأهل الفضل، عرفاناً مني لهم بالجميل الذي قدموه لي، وأخص بالذكر مشرفي الكبير في عقله وعلمه، المخلص في عمله، صاحب الوصايا السديدة، الموصلة لنيل رضا الله في الدنيا والآخرة، أستاذي الفاضل الدكتور محمد نادر العلي، الذي لم يبخل علينا بالتوجيه والنصائح، فأسأل الله أن يلبسه ثوب الصحة والعافية.

كما أتقدم بالشكر إلى كل أساتذتي الذين تتلمذت على أيديهم في كل مراحل دراستي حتى أتشرف بوقوفي أمام حضراتكم اليوم.

كما أتوجه بالشكر إلى كل من أضاء بعلمه عقل غيره، أو هدى بالجواب الصحيح حيرة سائليه، وأخص بالذكر الدكتور عبد القادر الدليمي والدكتور حسن الأنصاري والدكتورة رباب السامرائي.

المُلخص

ثمة إعجاز بلاغي في تناسب الألفاظ ودقة الأساليب بين آيات القرآن وسوره، وهذا ما دفعني إلى اختيار موضوع الدراسة: (التناسب والترتيب في سورة مريم وأثره في الإعجاز)، فعلم التناسب من أجلِّ العلوم في القرآن الكريم، وأدلها على إعجازه، وارتباط آياته وسوره فهو علم يعرف منه علل الترتيب، وأسرار البلاغة في القرآن الكريم.

ولقد تضمن هذا البحث مقدمة وتمهيدًا، تحدثت فيه عن تعريف علم التناسب والترتيب والإعجاز، ثم التعريف بالسورة، وبينت فصول الرسالة، التي اشتملت على ثلاثة فصول: الفصل الأول على: وجوه التناسب الخارجية لسورة مريم من حيث ترتيبها في المصحف، وتناسبها مع بعض سور القرآن، كسورة آل عمران وكأنها تمهيد لسورة مريم، كما تشابهت مع (الأنبياء، والمؤمنون، والتحريم، والنور)، وكذلك التعرف على السور التي قبلها وبعدها (الكهف، وطه)، أما من حيث الحروف المقطعة فلا يشابهها في هذا العدد الكبير إلا سورة الشورى.

أما الفصل الثاني: فقد تضمن وجوه التناسب الداخلية في سورة مريم من حيث اسمها ومضمونها، لأن اختصاص كل سورة بما سميت به، وبين فاتحتها وخاتمتها، وترابط مواضيعها بأهدافها، وتناسب آياتها كلها وكأنها لحمة واحدة، وكذلك تناولت فواصل السورة ومقاطعها والتناسب بينهما، أما الفصل الثالث: فقد تناولت فيه أثر التناسب والترتيب في الكشف عن وجوه الإعجاز، اللغوي والتاريخي والطبي، ثم ختمت البحث بالنتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: التناسب – الترتيب – مريم – الإعجاز.

ÖZET

Kelimelerin tutarlılığı ve üslubunun inceliğinde Kur'an ayetleri ile sureleri arasındaki retorik bir İ'caz vardır. Bu nedenle, "Meryem Suresindeki tutarlılık ve sıralama ve İ'caz üzerindeki etkisi" bu çalışmanın konusu olarak seçilmiştir. Zira tenasüp ilmi Ku'an-ı Kerim'in en yüce ilimlerinden olup Ku'an-ı Kerim'in i'cazını, ayetleri ile sureleri arasındaki tutarlılığı en iyi şekilde gösteren ilimdir. Ayrıca bu ilim sayesinde Ku'an-ı Kerimdeki sıralama sebepleri ve belagat sırları öğrenilmektedir.

Bu çakılma, tutarlılık, sıralama ve i'caz biliminin tanımının sunulduğu bir giriş ve önsözle başlamaktadır. Sonraki bölümde ise, Meryem Suresi tanıtılmıştır. Son olarak, araştırma üç farklı bölüm sunulmuştur.

Birinci bölüm, Meryem Suresi'nin Kur'an'daki düzenlemesi bakımından dış tutarlılığını ve Al-i İmran suresi gibi bazı surelerle tutarlılığını içerir. Meryem Suresi de (Enbiya Suresi, Müminin Suresi, Tahrim Suresi ve Nur Suresi) ile benzerlik göstermiştir. Ayrıca ondan önce ve sonra gelen sureleri (El-Kahf ve Taha) tanıtılmıştır. Ayrık harfler bakımından ise, Şura Suresi dışında bu büyük sayıda benzer bir surede bulunmamaktadır.

İkinci bölüm, Meryem Suresi'nin adı ve içeriği açısından içsel yönlerini içermektedir. Çünkü her Sure'nin ihtisası, verildiği isme göredir. Ayrıca bu bölüm surenin başlangıcı ve sonucu, konularının amaçlarına uygunluğu ve bütün ayetlerinin tek bir varlıkmış gibi uyumu, surenin bölümleri ile parçaları aralarındaki tutarlılığı gibi diğer içsel yönlerine değinilmiştir.

Üçüncü bölümde ise, dilsel, tarihsel ve tıbbi i'cazların ortaya çıkmasında tutarlılık ve sıralamanın etkisi ele alınmıştır. Son olarak, araştırma bazı sonuçlar ve öneriler ile sonuçlandırılmıştır.

Anahtar Kelimeler: Tutarlılık, Sıralama, Meryem, İ'caz.

Abstract

There is a rhetorical miracle in the proportionality of the words and the accuracy of the methods between the verses of the Qur'an and its Surahs. Therefore, the subject of this study was prompted to be about proportionality and arrangement in Surat Maryam and its effect on miracles.

The science of proportionality is one of the supreme sciences in the Holy Qur'an, the most indicative of its miracle and the relevance of its verses and surahs. It is a science in which both the causes of arrangement and the secrets of rhetoric in the Holy Qur'an are known.

This research starts with an introduction and a preface, in which the definition of the science of proportionality, arrangement, and miracles are presented. Then in the following part, Surat Maryam is introduced. Lastly, the research has presented three different chapters.

The first chapter contains the external proportions of Surat Maryam in terms of its arrangement in the Qur'an, and its proportionality with some surahs, such as Surat Al Imran as if it were a prelude to Surat Maryam. Surat Maryam has also shown some similarity with (Surat Al-Anbiya'a, Surat Al-Muminun, Surat Al-Tahrim, and Surat Al-Nur). As well as knowing the surahs that come before and after it (Al-Kahf and Taha). As for the Muqattaʿat, there is no surah like Surat Maryam that has the same large number of Muqattaʿat except Surat Al-Shura.

The second chapter includes the internal aspects of Surat Maryam in terms of its name and its content because the specialization of each Surah is according to what it is named. Other internal aspects are addressed between its opening and its conclusion, the relevance of its topics to its goals, and the fit of all its verses as if it were one entity, as well as dealing with the breaks and syllables of the surah and the proportion between them.

The third chapter deals with the effect of proportionality and arrangement in revealing aspects of linguistic, historical, and medical miracles. Lastly, the research is concluded with some results and recommendations.

Keywords: Proportionality, Arrangement, Maryam, Miraculous.

ARŞİV KAYIT BİLGİLERİ

Tezin Adı	Meryem Suresindeki tutarlılık ve sıralama ve İ'caz üzerindeki etkisi
Tezin Yazarı	HUDA ABDULLAH ALI
Tezin Danışmanı	Dr. Öğr. Üyesi MOHAMMAD NADER ALI
Tezin Derecesi	Yüksek Lisans
Tezin Tarihi	08/ 03 /2021
Tezin Alanı	Temel İslam Bilimleri - TEFSIR
Tezin Yeri	KBÜ/LEE
Tezin Sayfa Sayısı	120
Anahtar Kelimeler	Tutarlılık, Sıralama, Meryem, İ'caz.

ARCHIVE RECORD INFORMATION

Name of the Thesis	proportionality and arrangement in Surat Maryam and its effect on miracles.
Author of the Thesis	HUDA ABDULLAH ALI
Advisor of the Thesis	Prof. Dr. MOHAMMAD NADER ALI
Status of the Thesis	Master of Science
Date of the Thesis	08/03 /2021
Field of the Thesis	Interpretation
Place of the Thesis	KBU/LEE
Total Page Number	120
Keywords	Proportionality, Arrangement, Maryam, Miraculous.

معلومات سجل الأرشيف

عنوان الرسالة	التناسب والترتيب في سورة مريم وأثره في الإعجاز
مؤلف الرسالة	هدى عبد الله علي صالح الشعباني
مشرف الرسالة	الدكتور محمد نادر العلي
درجة الرسالة	ماجستير
تاريخ المناقشة	08/03/2021
مجال الرسالة	العلوم الإسلامية -التفسير
مكان المناقشة	جامعة كربوك
عدد صفحات الرسالة	120
الكلمات المفتاحية	التناسب – الترتيب – مريم – الإعجاز

قائمة المختصرات

الاختصار	المعنى
ت:	توفي
ج:	جزء
ص:	صفحة
ط:	طبعة
م:	ميلادي
هـ:	هجري

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبي الرحمة وقائد الأمة سيدنا محمد وعلى آله وصحابته والتابعين لهم بإحسان الى يوم الدين.

وبعد:

فمما لا شك فيه أن علوم القرآن والتفسير من أشرف العلوم، ذلك أن مرادها التوصل إلى فهم أشرف كلام وأحسنه على الإطلاق، كلام الخالق سبحانه وتعالى إلى عباده، ولقد أمرنا عز وجل بتدبر كتابه فقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:24]، فالاشتغال بعلوم القرآن من أفضل ما قُضيت فيه الأوقات، وفنيت فيه الأعمار، وأرفعها شرفاً ومناراً، وأعلاها على الإطلاق، وأساس قواعد الشرائع والعلوم، ومقياس ضوابط المنطوق والمفهوم: هو علم التفسير لكتاب العليّ القدير؛ لكونه أوثق العلوم تبياناً، وأصدقها قيلاً، وأحسنها بياناً، وأكرمها نتاجاً، وألمعها سراجاً، وأفصحها حجة ودليلاً، أوضحها مَحّجة وسبيلاً، فإنه أعظم العلوم مقداراً، ألا هو القرآن المجيد، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وهو المعجز الباقي الى الأبد، والمودع أسرار المعاني التي لا تنفد، وحبل الله المتين، وحجته على الخلق أجمعين.

وقد اختص النظم القرآني عن غيره من النظم بتناسب آياته وسوره؛ كونه وحدة موضوعية جامعة لأهدافه ومقاصده، ومن يتدبر خصائص هذا النظام يبحث عن سر ترابط الآية بالآية والسورة بالسورة ضمن علم من علوم القرآن الكريم يسمى بـ(علم المناسبة).

وقد كتب العلماء والباحثون في تاريخ هذا العلم، في دراساتهم التي تناولته، منها ما جاءت المناسبة فيها باباً من أبوابها كالكتب التي تدرس علوم القرآن، ومنها ما ألف خصيصاً لها.

واتباعاً لجهود السابقين من علماء وباحثين رغبت أن أكتب في هذا المجال، ومن المعلوم بأن شرف العلم على قدر شرف المعلوم، فعزمت مستعينة بالله على أن يكون موضوع رسالتي في مرحلة الماجستير تحت عنوان: (**التناسب والترتيب في سورة مريم وأثره في الاعجاز**)، وهي السورة الوحيدة التي جاءت باسم امرأة في القرآن الكريم وهي سيدتنا مريم –عليها السلام- الطاهرة المبرَّأة من فوق سبع سماوات بقرآنٍ يتلى الى يوم الدين، حيث أعطى الله –سبحانه وتعالى- للمرأة حقوقاً واعتنى بها وأنصفها مما لا تجده في القوانين الوضعية أو الأعراف

الاجتماعية، فهو القائل: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء:124].

سبب اختيار الموضوع

1- خدمة كتاب الله سبحانه وتعالى وابتغاء الأجر والثواب منه.

2- الشغف بهذا العلم وحب التعمق في أسراره وأغواره، والانتفاع بثمراته.

3- اهتمامي باللغة العربية وأسرارها، وما يمكن الكشف عن المزيد منها من خلال الأساليب البلاغية والبيانية والعلمية في القرآن الكريم.

الدراسات السابقة

بعد البحث المستمر والاطلاع في الفهارس والمكتبات العامة والخاصة، وشبكة المعلومات العالمية وسؤال المختصين في هذا المجال، لم أجد من كتب في هذه الجزئية، لكن هذا العلم قد حظي بعدة رسائل علمية، على سورة من القرآن أو عدة سور، وقد اطلعت على بعضها منها:

- (أثر النظم في تناسب المعاني في سورة العنكبوت، رسالة ماجستير سنة 2007، للباحثة مقبوله علي مسلم الحصيني).

- (المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها: دراسة تطبيقية بسورة الأعراف، رسالة ماجستير سنة 2010، للباحثة إيمان علي درويش).

الصعوبات التي واجهتني في البحث:

تتمثل أبرز الصعوبات التي واجهت الباحثة بما يأتي:

- اتساع المادة وتشتت المباحث ودقة المسائل.

- صعوبة الوصول إلى بعض المراجع القديمة التي لم تطبع منذ زمن بعيد، أو الكتابات الحديثة التي طبعت في بعض البلدان ولم تصل إلينا.

أهمية البحث

1- تكمن أهمية البحث في كونه متعلق بكتاب الله العزيز، فسورة مريم هي جزء لا يتجزأ منه.

2- علم المناسبة يعين على الفهم الصحيح لكتاب الله تعالى، وعلى تحقيق مقاصد هذا الكتاب العظيم في نفوس المؤمنين.

3 - وبه يتضح لك إعجاز وأسرار التكرار القصصي الذي ورد في القرآن، فيختلف ترتيب كل قصة ونظمها بحسب المناسبة.

منهج البحث

اتبعت في بحثي هذا المنهج الوصفي والاستقرائي، حيث تتبعت آيات سورة مريم ودرستها دراسة وصفية استقرائية وبيان أوجه المناسبة ما بين آياتها، وما بينها وبين السور الأخرى، وذلك بالرجوع الى المصادر والمراجع الأصلية، وعزو المنقول اليها.

خطة البحث

لقد اقتضت طبيعة الدراسة الى تقسيم البحث الى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول، حيث تشتمل المقدمة على أسباب اختيار الموضوع، والصعوبات التي واجهت الباحثة، وأهمية البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وخطته.

1. **الفصل التمهيدي**: التعريف بمفردات عنوان الدراسة.

1.1. **المبحث الأول**: التعريف بالتناسب والترتيب وبيان أهميته.

1.1.1. **المطلب الأول**: تعريف التناسب لغةً واصطلاحاً.

2.1.1. **المطلب الثاني**: تعريف الترتيب لغةً واصطلاحاً.

3.1.1. **المطلب الثالث**: أهمية التناسب والترتيب.

2.1. **المبحث الثاني**: التعريف بالإعجاز وبيان أهميته ووجوهه.

1.2.1. **المطلب الأول**: تعريف الاعجاز لغةً واصطلاحاً.

2.2.1. **المطلب الثاني**: أهمية الاعجاز.

3.2.1. **المطلب الثالث**: وجوه الإعجاز.

3.1. **المبحث الثالث**: التعريف بسورة مريم.

1.3.1. **المطلب الأول**: ترتيب السورة وتسميتها وعدد آياتها.

2.3.1. **المطلب الثاني**: أهداف السورة ومحاورها.

3.3.1. **المطلب الثالث**: فضائل سورة مريم.

2. **الفصل الأول**: **وجوه التناسب والترتيب الخارجية في سورة مريم**

1.2. **المبحث الأول**: التناسب والترتيب بين سورة مريم والقرآن كله

1.1.2. **المطلب الأول**: التناسب بين سورة مريم وترتيبها في المصحف.

2.1.2. **المطلب الثاني**: وجوه التناسب والترتيب بين سورة مريم وبعض سور القرآن.

2.2. **المبحث الثاني**: التناسب والترتيب بين السورة والسور التي قبلها وبعدها.

1.2.2. **المطلب الأول**: التناسب والترتيب بين سورة مريم والكهف.

2.2.2. **المطلب الثاني**: المطلب الثاني: التناسب والترتيب بين سورة مريم وطه.

3.2. **المبحث الثالث**: التناسب والترتيب بين سورة مريم والسور ذات المطالع المتشابهة والسور ذات المواضيع المتقاربة.

1.3.2. **المطلب الأول**: التناسب والترتيب بين سورة مريم والسور ذات المطالع المتشابه.

2.3.2. **المطلب الثاني**: التناسب والترتيب بين سورة مريم والسور ذات المواضيع المتقاربة.

3. **الفصل الثاني: وجوه التناسب والتراتيب الداخلية في سورة مريم**.

1.3. **المبحث الأول**: التناسب والترتيب بين اسم السورة ومضمونها، وبين فاتحتها وخاتمتها، وبين مواضيعها وأهدافها.

1.1.3. **المطلب الأول**: التناسب والترتيب بين اسم السورة ومضمونها.

2.1.3. **المطلب الثاني**: التناسب والترتيب بين فاتحتها وخاتمتها.

3.1.3. **المطلب الثالث**: التناسب والترتيب بين مواضيعها وأهدافها.

2.3. **المبحث الثاني**: التناسب والترتيب بين كل آية وما قبلها وما بعدها

1.2.3. **المطلب الأول**: أوجه التناسب والترتيب بين الآيات في قصة سيدنا زكريا وابنه يحيى –عليهما السلام-.

2.2.3. **المطلب الثاني**: أوجه التناسب والترتيب بين الآيات في قصة سيدتنا مريم وابنها عيسى –عليهما السلام-.

3.2.3. **المطلب الثالث**: أوجه التناسب والترتيب بين الآيات في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام- وأبيه.

4.2.3. **المطلب الرابع**: أوجه التناسب الترتيب بين الآيات التي تحدثت عن رد الشبهات التي يثيرها منكرو البعث والنشور.

3.3. **المبحث الثالث**: التناسب والترتيب بين فواصل السورة ومقاطعها

1.3.3. **المطلب الأول**: التناسب والترتيب بين فواصل السورة.

2.3.3. **المطلب الثاني**: التناسب والترتيب بين مقاطع السورة.

4. **الفصل الثالث: أثر التناسب والترتيب في سورة مريم في الكشف عن وجوه الإعجاز**

1.4. **المبحث الأول**: أثر التناسب والترتيب في الكشف عن وجوه الإعجاز اللغوي.

1.1.4. **المطلب الأول**: التناسب والترتيب في الأساليب اللفظية وأثره في الإعجاز.

2.1.4. **المطلب الثاني**: التناسب والترتيب في الأساليب البديعية وأثره في الإعجاز.

3.1.4. **المطلب الثالث**: التناسب والترتيب في الأساليب البيانية وأثره في الاعجاز.

2.4. **المبحث الثاني**: أثر التناسب والترتيب في الكشف عن وجوه الإعجاز التاريخي.

1.2.4. **المطلب الاول**: الإعجاز التاريخي في قصة سيدنا زكريا وابنه يحيى –عليهما السلام-

2.2.4. **المطلب الثاني**: الإعجاز التاريخي في قصة سيدتنا مريم وابنها عيسى –عليهما السلام-.

3.4. **المبحث الثالث**: أثر التناسب والترتيب في الكشف عن وجوه الاعجاز في العلوم التجريبية.

1.3.4. **المطلب الأول**: الإعجاز الطبي في قصة سيدنا زكريا –عليه السلام-.

2.3.4. **المطلب الثاني**: الإعجاز الطبي في قصة سيدتنا مريم –عليها السلام-.

5. الخاتمة.

1.5. النتائج.

2.5. التوصيات.

الفصل التمهيدي:

التعريف بمفردات عنوان الدراسة.

المبحث الأول: التعريف بالتناسب والترتيب وبيان أهميتها

المطلب الأول: تعريف التناسب لغة واصطلاحا.

علم المناسبات علم شريف، حيث إن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط، وعند معرفة مفهوم المناسبة عند أهل العلم لابد من معرفته عند اللغويين والبلاغيين وأهل علوم القرآن، فنبين ذلك بما يأتي.

أولاً: التناسب لغة:

يقول الفراهيدي[1]: "أن النَّسَبُ في القربات فلان نسيبي، وهؤلاء أنسبائي، ورجل نسيب منسوب: ذو حَسَبٍ ونَسَبٍ، والنِّسْبَة: مصدر الانتساب... والنّسبُ والنَّيسَبُ والنَّيسَبان: الطريق المستدق الواضح، كطريق النمل والحية، وطريق حمر الوحش إلى المورد، وهي طريقةٌ واحدةٌ"[2].

أما الأزهري[3] الذي انفرد بقوله: "والنسب يكون بالآباء، ويكون بالبلاد، ويكون بالصناعة"[4].

---

(1) هو: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي، أبو عبد الرحمن، ولد في سنة 100 هـ، وكان إماماً في اللغة والنحو، استنبط علم العروض وأخرجه إلى الوجود، من مصنفاته: كتاب "العين" في اللغة، وكتاب "العروض"، توفي سنة 170 هـ. يُنظر: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت 230 هـ)، **الطبقات الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1410هـ، ط1) ص23.

(2) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، **العين**، تحقيق: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، (بغداد، 1985م) ج7، ص271-272

(3) هو: محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري الهروي اللغوي، أبو منصور، كان فقيها شافعي المذهب، ولد سنة 282 هـ ـ، ومن مؤلفاته: "تهذيب اللغة"، و"علل القراءات"، توفي سنة 370 هـ. يُنظر: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: 681 هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر) ج4، ص 335؛ وشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: 748 هـ)، **سير أعلام النبلاء**، (القاهرة، دار الحديث، 1427هـ)، ج12، ص 328.

(4) محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (ت:370هـ)، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2001م، ط1)، ج13، ص13.

وذكر ابن فارس[1] أن: "النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء، منه النسب سُمّي لاتصاله وللاتصال به"[2]

وذكر ابن منظور[3] أن النسب: القرابة، وقيل: هو في الآباء خاصة، وناسبه: أي أشركه في نسبه، وبالجملة التناسب يعني: التماثل والترابط[4].

يقول الراغب الأصفهاني[5]: "النَّسَب والنِّسْبَة: اشتراك من جهة أحد الأبوين، وذلك ضربان: نَسَبٌ بالطول كالاشتراك من الآباء والأبناء، ونَسَبٌ بالعرض كالنِّسْبة بين بني الإخوة، وبني الأعمام. قال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان: 54] "[6].

ويتضح لي مما سبق أن النسب هو: ضم الشيء إلى الشيء، حتى يكون كاللحمَ الواحدة، وكالثوب المنسوج بدقة الذي لا يُعمَل مثاله مثله.

ثانياً: التناسب اصطلاحاً:

يقول الإمام البقاعي[7]-رحمه الله- في علم المناسبات بأنه: "علم تعرف منه علل الترتيب، وموضوعه أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيث الترتيب، وثمرته الاطلاع على الرتبة

---

(1) هو: أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي المحدث، أبو الحسين، ولد سنة 329 هـ، أصله من قزوين، له تصانيف كثيره منها: " المجمل" في اللغة، و "حلية الفقهاء"، وتوفي سنة 395 هـ. يُنظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج1، ص 118.

(2) أبو الحسن أحمد بن زكريا، ابن فارس، (ت: 395هـ) **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت، دار الفكر،1399هـ - 1979م، ط1)، ج5، ص423.

(3) هو: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، الإمام اللغوي الحجة، ولد سنة 630 هـ بمصر، من أشهر مصنفاته "لسان العرب"، و"مختار الأغاني"، توفي سنة 711 هـ. يُنظر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852 هـ)، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، (الهند، حيدر أباد، مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1392 هـ، ط2)، ج6، ص 15.

(4) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ط1، ج، ص755؛ وابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ط1، ج3، ص204.

(5) هو: الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني، الملقب بالراغب، أبو القاسم، من أهل (أصبهان) سكن بغداد، من الحكماء الأدباء صاحب التصانيف، ومنها: "المفردات في غريب القرآن"، و "أفانين البلاغة"، ولم أقف على سنة ولادته، توفي سنة 502 هـ. يُنظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج13، ص 341.

(6) أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: 502هـ) **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (دمشق، بيروت، دار القلم، الدار الشامية، 1412 هـ، ط1)، ص801؛ ص300.

(7) هو: أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرُباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، مؤرخ أديب، أصله من سوريا، ولد سنة 809 هـ، ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، من أبرز مؤلفاته: "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، و"مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور "، وتوفي بدمشق سنة 885 هـ. يُنظر: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت: 902 هـ)، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، (بيروت، دار مكتبة الحياة)، ج1، ص 101.

التي يستحقها الجزء ما له بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب"[1].

وهذا المعنى العام، أما علم التناسب في القرآن الكريم فهو: علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق ملاءمة المعاني لما اقتضاه الحال، وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مضمون السورة المطلوب ذلك فيها، وهذا ما أسعفه السياق، وفي علم التناسب هذا العلم النفيس الذي نسبته من علم التفسير كنسبة علم البيان من النحو[2].

وذكر الزركشي[3] عن القاضي أبي بكر بن العربي[4]: في أن التناسب هو تماسك آي القرآن بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة، بحيث تكون السورة وحدة متكاملة متسقة المعاني منتظمة المباني ذات مناسبة بالسورة التي قبلها وبعدها، وعلى هذا الأصل، ترى القرآن كله كلاماً واحداً، ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخر[5].

وقد عني أهل هذا الفن بالتناسب، وكانت لهم فيه آراء قيمة وجهود نيرة، ومن أقوالهم

التي تخصنا في هذا المجال هو قول بشر بن المعتمر[6] عن التناسب بين الألفاظ والمعاني حيث قال: "ومن أراد معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف"[7].

---

(1) إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت 885 هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (القاهرة، دار الكتاب الإسلامي)، ج1، ص5.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص6

(3) هو: محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، أبو عبد الله، عالم بفقه الشافعية والأصول، تركي الأصل، ولد بمصر سنة 745 هـ، له تصانيف كثيرة في عدة فنون، منها: (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة) و (لقطة العجلان)، توفي سنة 794هـ. يُنظر: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت: 1089هـ)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، (دمشق، بيروت، دار ابن كثير، 1406 هـ، ط2)، ج8، ص 572.

(4) هو: محمد بن عبد الله المعافري، المالكي، أبو بكر بن العربي، (468هـ- 543هـ)، قاض، من حفاظ الحديث. ولد في إشبيلية، ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين، وصنف كتبا في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ، وولي قضاء إشبيلية، ومات بقرب فاس، ودفن بها، ينظر: خير الدين بن محمود بن محمد علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت 1396هـ)، **الأعلام**، (دار العلم للملايين، 2002م، ط15)، ج6، ص230.

(5) ينظر: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت، دار المعرفة، 1391ه، ط1)، ج1، ص36.

(6) هو: بشر بن المعتمر الهلالي البغدادي، أبو سهل: فقيه معتزلي مناظر، من أهل الكوفة. تنسب إليه الطائفة (البشرية) منهم. ومن مصنفاته (الاعتزال) منها قصيدة في أربعين ألف بيت ردّ فيها على جميع المخالفين، ومات ببغداد؛ ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ط5، ج2، ص55.

(7) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: 255هـ)، **البيان والتبيين**، (بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1423 هـ)، ج1، ص129.

وقال النويري[1]: "هو ترتيب المعاني المتآخية التي تتلاءم ولا تتنافر"[2].

ويتبين لي مما سبق إن علم المناسبة يكاد لا ينفك عن علم البلاغة، كما ذكره الإمام البقاعي رحمه الله بأن جعله سر البلاغة، فعلم المناسبة هو معرفة علل وأسباب هذا الترتيب والتآخي.

المطلب الثاني: الترتيب لغة واصطلاحا.

أولاً: الترتيب لغة:

جاء في لسان العرب: أن الترتيب من رَتَبَ الشيءُ وعَيْشٌ رَاتِبٌ: ثَابِتٌ دائم، ويقال: رَتَبَ رُتُوبَ الكَعْبِ والتُّرْتَبُ كله الشيء المقيم الثابت، يقال: يترتب عليه كذا، أي يستقر وينبني، والترتيب المراد به وضع الشيء في موضعه على نسق واستقامة بصورة ثابتة[3].

وقال الفراهيدي: "المراتب في الجبل والصحاري، وهي الأعلام التي ترتب فيها العيون والرقباء"[4].

وفي الصحاح: "رتبت الشيء ترتيباً، ورتب الشيء يرتب رتوباً، أي ثبت، يقال: رتب رتوب الكعب، أي انتصب انتصابه. وأمر راتب، أي ثابت"[5].

ثانيا: الترتيب اصطلاحا:

يقول السيوطي[6]-رحمه الله- أن الترتيب: "هو أن يورد أوصاف الموصوف على ترتيبها في الخلقة الطبيعية ولا يدخل فيها وصفا زائدا كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ

---

(1) هو: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري: عالم بحاث غزير الاطلاع، نسبته إلى نويرة (من قرى بني سويف بمصر) ومولده ومنشأه بقوص، وكان ذكيّ الفطرة، حسن الشكل، فيه أريحية وود لأصحابه. وله نظم يسير ونثر جيد، ويكفيه أنه مصنف (نهاية الأرب في فنون الأدب) كبير جدا وهو أشبه بدائرة معارف لما وصل إليه العلم عند العرب في عصره، توفي في القاهرة (733 هـ- 1333 م). ينظر: ابن حجر العسقلاني (ت: 852 هـ)، **الدرر الكامنة**، ج1، ص 197.

(2) أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت: 733هـ)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، (القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، 1423 هـ، ط1)، ج7، ص107.

(3) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ط1، ج1، ص409

(4) الفراهيدي، **العين**، ج4، ص45.

(5) إسماعيل بن حماد الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت، دار العلم للملايين)، ج1، ص336.

(6) هو: الحافظ جلال الدّين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين أبي بكر السّيوطي الشافعي المسند المحقّق المدقّق، ولد سنة 849 هـ، له مؤلفات تزيد عن خمسمائة مؤلف منها: "الإتقان في علوم القرآن"، و"الاقتراح" في أصول النحو"، توفي سنة 911 هـ. يُنظر: ابن عماد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ج10، ص74، والزركلي، **الأعلام**، ج3، ص301.

نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا﴾ [غافر: 67]، وقوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ [الشمس: 14] "[1].

وعرف الترتيب بأنه: "وضع كل شيء في مرتبته، بأن تُفعل العبادة حسب مرتبتها في وقتها"[2]

"والمعنى أنّ الترتيب بين الأشياء وضع كل شيء منها في مرتبة له عند المرتّب، فيشتمل الفكر الفاسد، وفيه إشارة إلى أنّه لا بدّ في الترتيب من اعتبار المرتّب تلك المرتبة فلو وضع شيئا منها في مرتبته ولم يلاحظها لا يكون ترتيبا"[3].

المطلب الثالث: أهمية التناسب والترتيب.

أولا: أهمية التناسب والترتيب: تناول الكثير من علماء التفسير والبلاغة موضوع المناسبة وتطرقوا لذكر أهميتها، ومن أهم ملامح علم المناسبة:

1. تكلم المفسرون والبلاغيون عن التكرار وقالوا بأن القرآن خال منه، وأن ما به مما يُوهِم وجود التكرار، فإنما هو تشابه، وإن كل قصة أعيدت في موطن فلمناسبتها ذلك الموطن، وقد تكلم البقاعي عن التناسب وأهميته في دفع توهُّم التكرار.

2. أن كل سورة أعيدت فيها قصة فلمناسبة تخص تلك السورة، ثم تراعى فيها المعاني المناسبة للمقصد الذي سيقت له القصة[4].

3. وعلم المناسبة يعين على فَهْم مراد الله تعالى في كتابه، وعدم الوقوع في الخطأ أو اللبس أو التأويلات المغلوطة[5].

---

(1) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ- 1974 م)، ج3، ص308.

(2) محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، **موسوعة الفقه الإسلامي**، (بيت الأفكار الدولية، 1430 هـ - 2009 م، ط1)، ج2، ص563.

(3) محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت 1158هـ)، **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تحقيق: د. علي دحروج، (بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، 1996م، ط1)، ج1، ص411.

(4) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج9، ص268.

(5) ينظر: مناع بن خليل القطان (ت: 1420هـ)، **مباحث في علوم القرآن**، (مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1421هـ- 2000م، ط3)، ج1، ص96.

4. علم المناسبة في أكثر الأحيان يكون سبباً في معرفة حِكَم القرآن ودُرره: حيث قال الإمام الرازي[1]: "إن أكثر لطائف القرآن مُودعة في الترتيبات والروابط"[2].

وقد أكد البقاعي أن المقصود بالترتيب: " معان جليلة الوصف، بديعة الرصف، عالية الأمر، عظيمة القدر"[3].

5. التناسب عامل فعَّال في إظهار الإعجاز القرآني وأحد ركائزه: وهو أحد وجوه الإعجاز القرآني، ودليل آخر على عظمة هذا الكتاب، وأنه معجز كله؛ وإن إعجاز القرآن البلاغي يرجع إلى هذه المناسبات بين آياته وسوره، حتى كأن القرآن كله كالكلمة الواحدة ترتيبًا وتماسُكًا [4]، يقول البقاعي: "وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب، ويتمكن من اللب؛ وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين: أحدهما: نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، والثاني: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب "[5].

6. يساهم علم المناسبة في معرفة اقتباسات النبي –صلى الله عليه وسلم-وصحابته الكرام رضوان الله عليهم من القرآن ونظمه، فقد وجدت أحاديث كثيرة فيها مناسبة مع كثير من آيات القرآن الكريم: " فإذا تأمَّل الباحث نظامَ الآيات ورباط معانيها، ثم وصل إلى ما يجد له تأييدًا في كلام النبوة وآثارها - ازداد بذلك ثقة وارتياحًا إلى ما فتح الله عليه من خزائن حكمته، كما ازداد انشراحًا واقتناعًا بصحة ذلك الحديث الذي وجد له أصلاً في تنزيله"[6].

6ــ والمناسبة تساعد في جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء[7].

---

(1) هو: محمد بن عمر بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، طبرستاني الأصل، من فقهاء الشافعية، ولد بالري سنة 544 هـ، وعرف بابن الخطيب، أشعري من غلاة المؤولة، وقيل أنه رجع للمنهج الحق قبل وفاته، من مصنفاته: "مفاتيح الغيب" في التفسير، و "معالم أصول الدين"، توفي سنة 606 هـ. يُنظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج4، ص 248.

(2) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ)، **مفاتيح الغيب**، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1420هـ، ط3)، ج10، ص110.

(3) البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج1، ص8.

(4) ينظر: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، (ت: 471هـ)، **درج الدرر في تفسير الآي والسور**، محقق القسم الأول: طلعت صلاح الفرحان، محقق القسم الثاني: محمد أديب شكور، (عمان، الأردن، دار الفكر، 1430هـ- 2009م، ط1،) ج2، ص52.

(5) المصدر السابق، ج22، ص446.

(6) محمد عناية الله أسد سبحاني، **إمعان النظر في نظام الآي والسور**، (دار عمار)، ص258.

(7) السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج3، ص371.

المبحث الثاني

التعريف بالإعجاز وبيان أهميته ووجوهه، ويتضمن ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: تعريف الاعجاز لغة واصطلاحا.

أولا: الإعجاز لغةً:

من الناحية اللغوية فإننا نجد أن الإعجاز مشتق من (العجز) والعجز بمعنى التأخر، والعَجُزُ: مؤخر الشيء، وجمعه أعجاز[1].

يقول ابن فارس: (عجز) العين والجيم والزاي أصلانِ صحيحان، يدلان على الضعف، وعلى مؤخَّر الشيء، والعَجْزُ: الضعف[2].

ثانياً: الاعجاز اصطلاحاً:

لقد أيد الله -سبحانه وتعالى- النبي محمد –صلى الله عليه وسلم- بمعجزةٍ خالدةٍ تتناسب مع كلّ مكانٍ وزمانٍ وللبشر كافة ألا وهي القرآن الكريم، الذي اقترن بالإعجاز وبأمور خارقة للعادة تروع النفس ويتوق إليه الناظر ويهول إليه السامع، وللعلماء أقوال في الإعجاز منها:

قال الفيروز آبادي[3]: "إن الإعجاز أفعال من العَجْز الَّذي هو زوال القدرة عن الإتيان بالشيء من عمل أَو رأْى أَو تدبير، والَّذى يظهر على الخلق من هذا المعنى ثلاث درجات: مَخْرقة وكرامة (ومعجزة)"[4].

وللسيوطي (رحمه الله) قول: "المعجزة أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة"[5]

---

(1) ينظر: الفراهيدي، **العين**، ج1، ص48؛ وأبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: 458هـ)، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1421هـ - 2000 م، ط1)، ج1، ص298.

(2) ينظر: ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج4، ص190؛ وأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، (بيروت، المكتبة العلمية)، ج2، ص393؛ وأبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرز، **المغرب في ترتيب المعرب**، تحقيق: محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، (حلب، مكتبة أسامة بن زيد، 1979، ط1)، ج2، ص43.

(3) هو: مجد الدين أبو الطاهر، محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الفيروز أبادي اللغوي الشافعي، ولد بشيراز سنة 729 هـ، من تصانيفه: " القاموس المحيط"، و "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز"، وتوفي سنة 817 هـ. يُنظر: الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911 هـ)، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (لبنان، صيدا، المكتبة العصرية)، ج1، ص 273.

(4) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت: 817هـ)، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمد علي النجار، (القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1416 هـ - 1996 م)، ج1، ص65.

(5) السيوطي، **الاتقان في علوم القرآن**، ج4، ص3.

قال الزرقاني[1]: "ويؤخذ بعين الاعتبار بأن الصحابة -رضوان الله عليهم-هم من حفظوا ذلك الإعجاز وخرق العادة بفعل ما تقرر في حافظتهم وتركز في فؤادهم مما شاهدوه وعاينوه لأن ما يخرج على نواميس الكون وقوانينه العامة يبقى مستقراً في حافظة وفؤاد كل من عاينه فرداً كان أو أمة، أما القرآن الكريم فإعجازه جرى فيه جريان الماء في العود الأخضر لا تكاد تخلو سورة ولا آية منه"[2].

وشأن الإعجاز أعظمُ من كل ما نقول، وأبلغ من كل ما نَصِفُ، وأعجبُ من كل ما نقف عليه من دواعي العجب، فهو المنزل من الملأ الأعلى، والذي نزل به سيدٌ من كبار سادات الملأ الأعلى، فيه من الأسرار، ودواعي الإعجاز، ما تنتهي الدنيا ولا ينتهي[3].

قال السكاكي: "واعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه، كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها، ومدرك الإعجاز عندي هو الذوق ليس إلا"[4]

إن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة، التي كلما تقدم بنا الزمن وابتعدنا عن مهد الرسالة يتضح لنا إعجازات عظيمة مما يستقر في الذهن ويطمئن بها القلب وتسكن إليه النفس أنه تنزيل من عزيز حميد، الذي لا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه، ولا يمكن لعالم مهما كان علمه أن يجاري ولو لفظة من ألفاظه، وتبقى العقول قاصرة في معرفة مراده، سبحانه ما أعظم كلامه.

---

(1) هو: محمد عبد العظيم الزرقاني من علماء الأزهر بمصر، تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث، من كتبه "مناهل العرفان في علوم القرآن"، و "بحث في الدعوة والإرشاد"، توفي بالقاهرة سنة 1367 هـ. يُنظر: الزركلي، **الأعلام**، ج6، ص 210.

(2) ينظر: محمد عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، (بيروت، دار الفكر، 1996، ط1)، ج1، ص210.

(3) ينظر: فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل**، (عمان ــ الأردن، دار عمار للنشر والتوزيع،1423 هـ - 2003 م، ط3)، ص9.

(4) يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت: 626هـ) **مفتاح العلوم**، (بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1407 هـ - 1987 م، ط2)، ج1، ص416.

المطلب الثاني: أهمية الاعجاز

للإعجاز القرآني أهمية عظيمة، وذلك من خلال الأدلة والبراهين الملموسة، التي يطمئن إليها الإنسان، ويستقر الإيمان في نفسه، كما نجد في الأمثلة التجريبية، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: 260] ، والأدلة والبراهين زاخرة في القرآن الكريم، وتأتي أهمية الإعجاز كما يأتي:

أولاً: ليكون آية دالة على صدق الرسول –صلى الله عليه وسلم-، والقرآن هو معجزة بألفاظه ومعانيه والتحدي وقع فيه، قال تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: 23]، إذ التصديق يتوقف على دلالة المعجزة بعد التحدي، حيث أن الله –سبحانه وتعالى-تحدى العرب بالقرآن، وتحداهم أن يأتوا بمثله، فلما خسروا التحدي ولم يأتوا بما تحداهم به، دل ذلك على عجزهم[1]

ثانياً: ومن عجائب وأسرار الإعجاز الحفاظ على استمرارية معجزة القرآن الكريم،

لملائمته لكلّ زمان ومكان وصدق إخباره يشهد لها الواقع وكمال أحكامه التي تتضمن مصالح الدنيا والآخرة لقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: 115][2].

ثالثاً: الإعجاز في القرآن يساعد على اكتشاف الظواهر المختلفة الموجودة بين آيات القرآن الكريم، ومساعدة الناس على الوصول إلى هذه الحقائق ولإدراك حقائق هذا الإعجاز يجب الاعتماد على النقل والعقل، فظواهر القرآن من الألفاظ والآثار التي تعاضد الظاهر، لا تكفي وحدها بل تساعد العقل، فهي التي توجه الفكر إلى أعمق الحقائق العلمية والكونية والنفسية، لأن العقل السليم لا يتعارض مع المنقول[3].

---

(1) ينظر: أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (ت: 403هـ)، **إعجاز القرآن للباقلاني**، تحقيق: السيد أحمد صقر، (مصر، دار المعارف، 1997م، ط5)، ص13.

(2) ينظر: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: 333هـ)، **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، تحقيق: د. مجدي باسلوم، (بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية،1426هـ - 2005م، ط1)، ج4، ص226.

(3) ينظر: محمد أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، (دار الفكر العربي)، ج1، ص35.

رابعاً: الإعجاز في القرآن يساهم في كشف الحكمة الموجودة في آياته فالإنسان كلما قرأ القرآن بتدبر وجد فيه من الإعجاز من حيث النطق، فتظهر له بالقراءة الثانية مالم يظهر له بالقراءة الأولى فالقرآن يضم من الكنوز ما لا عد له ومن العلوم ما لا حصر له[1].

خامساً: من أهمية الإعجاز في القرآن أنه نزل منجّماً على حسب الحوادث والوقائع لما ظهر في كثير من آياته من إعجاز، وفي هذا الحال يساهم في تجديد أسلوب الدعوة الإسلامية وبيئتها، وزيادة الدقة في فهم آيات القرآن الكريم[2].

المطلب الثالث: وجوه الإعجاز.

لا شك أن وجوه الإعجاز القرآني متعددة لا يمكن حصرها، ولكن من باب الإيجاز لا من باب الحصر؛ فمن وجوه تعددها الإعجاز العلمي، والإعجاز التشريعي، والإعجاز البياني، والإعجاز الغيبي.

1ـ الإعجاز العلمي:

إن القرآن الكريم في طريقة عرضه للآيات على الخلق أبرز عظمة الله وقدرته ووحدانيته من خلال دقة صنع الله في كثير من آياته الكونية والطبيعية من جبال وأنهار ونبات وإنسان وحيوان وغير ذلك، وكان القرآن في طريقة عرضه للهداية والإعجاز اكتشفت البشرية هذه الحقائق الكونية إذ نجد أن القرآن قد ذكر هذه الحقائق ولم يستطيع أحد إلى يومنا هذا أن يبطل حقيقة من الحقائق التي ذكرها القرآن وأنه منزل من لدن حكم عليم بأسراره خبير بدقائقه المحيط بعلومه ومعارفه، حيث أن القرآن نزل على رجل أمي عاش في بيئة أمية جاهلة لا صلة لها بتلك العلوم وتدوينها، ولا شك أن هذا دليل قاطع أن القرآن منزل من الله تعالى: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [الفرقان:6][3].

---

(1) ينظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت:774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ - 1999 م، ط2)، ج1، ص199؛ وينظر: الصابوني، **صفوة التفاسير**، ج1، ص22.

(2) ينظر: أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، (بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1419 هـ -1998 م، ط1)، ج14، ص527؛ وينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج19، ص20.

(3) ينظر: الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ط1، ج1، ص19.

ومن أمثلة الإعجاز العلمي:

قوله تعالى: ﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ [القيامة:4]، في إشارة إلى البصمات وتحقيق الشخصية،[1] وقوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ﴾ [الزمر:6]، إشارة إلى السوائل الثلاثة المحيطة بالجنين[2].

2ـ الإعجاز التشريعي:

لقد نظم القرآن الكريم علاقة الإنسان بربه وبنفسه وبغيره من خلال التشريعات المتكاملة بحياة البشر، فقد تضمن القرآن الكريم من العلوم ما يقوّم به حياة الإنسان في تبيان الحلال والحرام وسائر الأحكام فهي الأصلح من غيرها في كل زمان ومكان وهذا ما أثبته الوجود الإنساني منذ نزول القرآن الى يومنا هذا[3].

3ــ الإعجاز البياني:

هو نظم القرآن الكريم و دقته فالكلمات القرآنية فيها من المعاني والدقة والجمال في اللفظ، وترابط الآيات فيما بينها فيها من التناسب والتناسق الذي لا تدركه العقول، وكذلك الدقة في التعبير عن المعاني وقد بلغ القرآن القمة في البلاغة و الفصاحة في شتى الميادين والمجالات التي تصدى لها القرآن سواء كانت مكية أو مدنية، ولا اختلاف أو تباين في أسلوب القرآن، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:82]، فكتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم حاول العرب في أن يأتوا بأحسن منها لعجزوا فبراعته تظهر لنا في كثير من الأحيان وتخفى علينا في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ لتميزهم بدقة الفهم وسلامة الذوق وجودة القريحة فقد كان عمق فهمهم كقريحة البئر، أي كعمقه، وفي الحقيقة أن الإعجاز البياني في القرآن الكريم لا يختص بالعرب وحدهم وإنما كل من فقه العربية[4].

ومن الأمثلة على الإعجاز البياني، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: 7]، فهنا نلاحظ إعجاز القرآن في هذه الآية الكريمة بين أمرين، ونهيين، وخبرين، وبشارتين، أما الأمرين فهما: (أرضعيه)، و (ألقيه في اليم)، وأما النهيان فهما (لا تخافي)، و(لا

(1) ينظر: د مصطفى مسلم، **مباحث في إعجاز القرآن**، (دمشق، دار القلم، 1426 هـ، 2005 م، ط3)، ص222.
(2) ينظر: المصدر نفسه، ص212.
(3) ينظر: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: 1394هـ)، **المعجزة الكبرى**، ص67-69.
(4) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ط1، ج1، ص52؛ وينظر: الشحود، **الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم**، ص391.

تحزني) وأما الخبران فهما (أوحينا)، و(خفت)، وأما البشارتان فهما (إنا رادوه اليك)، و(جاعلوه من المرسلين)[1] .

4ــ الإعجاز الغيبي:

هو إخبار القرآن الكريم عن الأمور الغيبية التي وقعت في الماضي أو الحاضر أو المستقبل من أمور الدنيا، كبدء الخلق أو الإخبار عن الأمم السابقة وغيرها من الأحداث التي لا يمكن الإنباء عنها إلا عن طريق الوحي الإلهي، قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود:49]، ومن الأخبار التي تتعلق بأحداث المستقبل، مثل ما أخبر به القرآن الكريم و وقع في حياة الرسول –صلى الله عليه وسلم- قال تعالى: ﴿الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ ... بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم:1-5]، وقسم ما أخبر به القرآن الكريم في الماضي مثل القصص الرائعة التي لا علم للرسول بها إلا عن طريق الوحي مثل قصة مريم -عليها السلام- حيث قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران:44]، أما غيب الحاضر ما أخبر به القرآن الكريم عن فضيحة الله للمنافقين في زمن النبي محمد –صلى الله عليه وسلم- مما كان قائما بهم وخفي أمره عليه كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة:204]، ومن غيب الحاضر أو الماضي ما جاء في القرآن الكريم من مبادئ وحقائق ومنافع لم يكشف عنها إلا العلم الحديث، ومثاله في القرآن قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس:5]، فقد وجد العلماء حديثاً أن القمر جسم بارد يعكس الشمس التي تعتبر جسماً ملتهباً، ولذلك عبر القرآن بكلمة دقيقة عن القمر ووصفه بأنه (نور)، أما الشمس فقد وصفها بأنها(ضياء)، أما الضياء فهو ضوء بحرارة تبثه الشمس[2].

(1) ينظر: الشحود، **الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم**، ج1، ص479.
(2) ينظر: الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ط1، ج2، ص265-267.

المبحث الثالث

التعريف بسورة مريم ويتضمن

المطلب الأول: ترتيب السورة وتسميتها وعدد آياتها.

جاءت سورة مريم بالنسبة الى ترتيبها في النزول، قال ابن عاشور[1]: "وهي السورة الرابعة والأربعون في ترتيب النزول؛ نزلت بعد سورة فاطر وقبل سورة طه" [2].

أما ترتيبها في المصحف فهي السورة التاسعة عشر بحسب الرسم القرآني[3].

ووجه التسمية أنها بسطت فيها قصة مريم وابنها -عليهما السلام-وأهلها قبل أن تفصّل في غيرها، ولا يشبهها في ذلك إلا سورة آل عمران التي نزلت في المدينة وسميت سورة مريم تخليداً لتلك المعجزة الباهرة في خلق إنسان بلا أب ثم إنطاق الله للوليد وهو طفل في المهد وما جرى من أحداث غريبة رافقت ميلاد نبي الله عيسى --عليه السلام-[4].

وقد سماها ترجمان القرآن ابن عباس -رضي الله عنه- ﴿كهيعص﴾ نسبة إلى أن فاتحتها تبدأ بهذه الحروف المقطعة[5].

وذكر الزمخشري[6]أن عدد آياتها ثماناً وتسعين وهي مكية إلا آيتي ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم:58] و ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم:71] فمدنيتان، وعدّ آياتها في عدد أهل المدينة ومكة تسعا

---

(1) هو: محمد الفاضل بن محمد الطاهر بن عاشور، ولد سنة 1327 هـ، أشعري العقيدة، من طلائع النهضة في تونس، وشغل خطة القضاء بتونس ثم منصب مفتي الجمهورية، من أعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة، ورابطة العالم الإسلامي بمكة، ومن مؤلفاته: "التحرير والتنوير"، و"أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربيّ"، توفي بتونس سنة 1393 هـ. يُنظر: الزركلي، **الأعلام**، ج6، ص 325.

(2) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت:1393هـ)، **التحرير والتنوير**، (الدار التونسية للنشر - تونس، 1984 هـ)، ج16، ص58.

(3) ينظر: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: 745هـ)، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، (بيروت، دار الفكر، 1420 هـ)، ج7، ص235.

(4) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج16، ص58؛ وينظر: محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، (دار الصابوني)، ج2، ص152؛ وينظر: **التعريف بسور المصحف**، ج26، ص1.

(5) ينظر: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: 1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1415هـ، ط1)، ج8، ص377.

(6) هو: محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي، يكنى أبو القاسم، ولد سنة 467 هـ، معتزلي المذهب، متعصب لمذهبه، صنّف التصانيف في التفسير، وغريب الحديث والنحو، وغيرها من العلوم، من مؤلفاته" الكشاف"، و"أساس البلاغة"، توفي سنة 538 هـ. يُنظر: أبو الحسن، **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، ج3، ص 265.

وتسعين، وفي عدد أهل الشام والكوفة ثمانا وتسعين وهي مكية بإجماع إلا السجدة منها فقالت فرقة هي مكية وقالت فرقة هي مدنية[1].

وذكر أبو عمر الداني[2]،"عدد كلماتها تسع مئة واثنتان وستون كلمة، وعدد حروفها ثلاثة الآف وثماني مئة وحرفان، وهي تسعون وتسع آيات في المدني، الأخير والمكي وثمان في عدد الباقين، والاختلاف يقع في ثلاث آيات: الأولى: ﴿كهيعص﴾ [مريم: 1]، عدها الكوفي[3] ولم يعدها الباقون.

الثانية: ﴿فِي الْكِتَابِ إبراهيم﴾ [مريم: 16]، عدها المدني[4]والمكي ولم يعدها الباقون.

الثالث: ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ [مريم: 75]، لم يعدها الكوفي وعدها الباقون"[5].

---

(1) ينظر: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (بيروت، دار الكتاب العربي، 1407هـ، ط3)، ج3، ص3؛ وينظر: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت:542هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (لبنان، دار الكتب العلمية، 1413هـ، 1993م، ط1)، ج4، ص3.

(2) هو: الإمام عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر، أبو عمرو الداني الأموي مولاهم القرطبي، المعروف في زمانه بابن الصيرفي، المالكي، ولد سنة 371هـ، أحد الأئمة في علوم القرآن ورواياته وتفسيره ومعانيه وطرقه وإعرابه، وأحد حفاظ الحديث، وله معرفة به وبطرقه وأسماء رجاله ونقلته؛ فهو محدث مكثر، ومقرئ متقدم، سمع بالأندلس والمشرق وتوفي سنة أربع وأربعين وأربعمائة. ينظر: علي بن أبي محمد بن أبي سعد بن الحسن الواسطي المعروف بالديواني (663 -743 هـ)، **روضة التقرير في اختلاف القراءات بين الإرشاد والتيسير**، أبو مازن محمد بن رجب الخولي، (الرياض - المملكة العربية السعودية، العاصمة للنشر، 1432 هـ 2011 م، ط1)، ص55.

(3) هو: أبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات الكوفي مولى عكرمة بن ربيع التيمي، قرأ على أبي محمد سليمان بن مهران الأعمش على يحيى بن وثاب على زر بن حبيش على عثمان وعلي وابن مسعود على النبي –صلى الله عليه وسلم- كان ورعاً بكتاب الله مجوداً له توفي سنة ست وخمسين ومائة. وممن اشتهر بالرواية عنه خلف وخلاد لكن بواسطة سليم بن عيسى الكوفي. ينظر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: 748هـ)، **معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار**، (دار الكتب العلمية، 1417 هـ- 1997م، ط1)، ص93.

(4) هو: نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، أبو رؤيم، ويقال: أبو نعيم، ويقال: أبو الحسن، وقيل أبو عبد الله، وقيل أبو عبد الرحمن، قال الذهبي: «وأشهرها أبو رؤيم، وقال الأندرابي: فقيل عبد الرحمن، وهو الأصح، قرأ على سبعين من التابعين، وأقرأ الناس دهرا في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، وقرأ عليه مالك، وقال: «نافع إمام الناس في القراءة»، وله عناية كبيرة برسم المصاحف، واختلف في سنة وفاته فقيل 170 هـ وقيل أقل من ذلك. ينظر: الذهبي، **معرفة القراء**، ج1، ص 107.

(5) عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت: 444هـ)، **البيان في عدّ آي القرآن**، تحقيق: غانم قدوري الحمد، (الكويت، مركز المخطوطات والتراث 1414هـ- 1994م، ط1)، ص181؛ وينظر: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: 885هـ)، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، (الرياض، مكتبة المعارف، 1408 هـ - 1987 م، ط1) ج2، ص256.

المطلب الثاني: أهداف السورة ومحاورها.

إن سورة مريم، هي إحدى السور المكية التي ابتدأت بذكر معجزات خارقة للعادة في الوجود الإنساني، والرد على اليهود فيما من القول الشنيع في مريم وابنها، فكان فيها بيان نزاهة آل عمران وقداستهم في الخير[1].

ويدور سياق هذه السورة على محور توحيد الله؛ ونفي الولد والشريك عنه؛ ويلم بقضية البعث القائمة على قضية التوحيد، هذا هو الموضوع الأساسي الذي تعالجه السورة[2].

ويسير هذا السياق على ثلاثة محاور:

المحور الأول: يتضمن قصة زكريا ويحيى -عليهما السلام-، وانتقلت السورة الكريمة إلى الحديث عن قصة أخرى أغرب من قصة ميلاد يحيى ألا وهي قصة مريم وولادة عيسى -عليهما السلام-والتعقيب على قضية عيسى التي كثر فيها الجدل، واختلفت فيها أحزاب اليهود والنصارى[3].

المحور الثاني: يتضمن ذكر قصة إبراهيم –عليه السلام-مع أبيه وما كان إبراهيم عليه من توحيد الله –عز وجل- واعتزاله لملة الشرك وما عوضه الله من ذرية نسلت بعدها أمة، ثم دلالات إلى قصص النبيين، ومن اهتدى بهديهم ومصير هؤلاء وهؤلاء ينتهي بإعلان توحيد الربوبية، قال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: 65][4].

المحور الثالث: يبدأ الحديث حول قضية البعث، ويستعرض بعض مشاهد يوم القيامة، وينتهي بعدها بمشهد مؤثر من مصارع القرون، قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم: 98][5].

---

(1) ينظر: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: 1332هـ)، **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1)، ج7، ص83؛ وينظر: أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج9، ص4602.

(2) ينظر: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (دمشق، دار الفكر المعاصر، 1418هـ، ط2)، ج16، ص46.

(3) ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج5، ص88.

(4) ينظر: محمد سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط**، ج1، ص2768.

(5) المصدر نفسه، ج1، ص2781.

المطلب الثالث: فضائل سورة مريم.

أنّ هذه السورة تختص عن غيرها من سور القرآن الكريم ببعض الفضل، وقد جاء في فضلها فيما رواه الإمام أحمد من حديث أم سلمة -رضي الله عنها- " أن النجاشي قال له: هل معك ممَّا جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفرُ: نعم فقال له النجاشي: فاقرأه عليَّ، فقرأ عليه صدرًا من سورة مريم: فبكى النجاشي حتى اخضَلَّت لحيتُه، وبكَت أساقفتُه حتى أخضلوا مصاحفَهم حين سَمِعوا ما تَلا عليهم، ثم قال النجاشيُّ: إن هذا والذي جاء به عيسى لَيَخرُجُ مِن مِشكاة واحدة، انطلِقا "[1] [2].

وعن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه- أنه قرأ سورة مريم فلما قرأ آية السجدة سجد، ثم قال: "هذا السجود فأين البكاء؟ "[3].

وعن ابن المبارك[4]، عن عباد المنقري[5] قال: حدثنا بكر بن عبد الله المزني[6]قال:" نزلت هذه الآية: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: 71]، ذهب عبد الله بن رواحة إلى بيته فبكى، فجاءت امرأته فبكت، فجاءت الخادمة فبكت، وجاء أهل البيت فجعلوا يبكون، فلما انقطعت عبرته، قال: «يا أهلاه، ما الذي أبكاكم؟» قالوا: لا ندري، ولكن رأيناك بكيت فبكينا، قال: «إنه

---

(1) أخرجه الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: 241هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، 1421 هـ - 2001 م، ط1، مسند أهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين، حديث جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وهو حديث الهجرة، رقم الحديث (1740) ج3، ص263.

(2) عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت 213هـ) **السيرة النبوية لابن هشام**، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر (1375هـ - 1955م، ط2)، ج1، ص 336.

(3) أخرجه البيهقي، أحمد بن الحسن بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت:458)، **شعب الإيمان**، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، (الرياض، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، 1423ه- 2003م، ط1)، تعظيم القرآن، فصل في البكاء عند قراءة القرآن، رقم الحديث (1897)، ج3، ص415.

(4) هو: شيخ الإسلام، أبو عبد الرحمن، عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي المروزي، كان معروفا بالزهد والحفظ والجهاد والصدقة. له مؤلفات نافعة منها: كتاب الزهد، وكتاب البر والصلة، وكتاب الجهاد، وغيرها. توفي سنة 181 هـ. ينْظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج8، ص378.

(5) هو: عباد بْن ميسرة المنقري التميمي البصري، نسبه وكيع، قال موسى بن اسمعيل عَنِ الربيع بْن عَبْد اللَّه قَالَ: كَانَ عباد المنقري عاهد اللَّه ليقرأن كل ليلة بألف آية فإن لم يقرأ أصبح صائما، فاشتد عليه فأتينا بِهِ ابْن سيرين فقَالَ: لا أقول أعهد اللَّه شيئا ليوف بعهد اللَّه، وقَالَ الْحَسَن: لا يكلف اللَّه نفسا إلا ما أطاقت ليكفر يمينه. ينظر: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: 256هـ)، **التاريخ الكبير**، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، ج6، ص 38.

(6) هو: بكر بن عبد الله المزني أبو عبد الله البصري روى عن ابن عمر وأنس والمغيرة وابن عباس وعنه قتادة وحميد وسليمان التيمي وغيرهم ثقة ثبت جليل مات سنة ست ومائة وصحح الذهبي وفاته سنة ثمان ومائة حديثه عد الستة. ينظر: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (ت: 742هـ) **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق: د. بشار عواد معروف، (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1400 هـ– 1980م، ط1)، ج4، ص 216.

أنزلت على رسول الله آية ينبئني فيها ربي عز وجل أني وارد النار، ولم ينبئني أني صادر عنها، فذلك الذي أبكاني»" [1].

(1) أخرجه ابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (ت: 181هـ)، **الزهد والرقائق لابن المبارك**، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، (بيروت، دار الكتب العلمية)، باب الهرب من الخطايا والذنوب، رقم الحديث (309)، ج1، ص104.

الفصل الأول

وجوه التناسب والترتيب الخارجية في سورة مريم

المبحث الأول: التناسب والترتيب بين سورة مريم والقرآن كله

المطلب الأول: التناسب بين سورة مريم وترتيبها في المصحف.

في القرآن الكريم سور وآيات منها القصار والطوال، وترتيب الآيات في القرآن الكريم توقيفي عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- حيث أجمعت الأمة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة فيه، وجاءت الأحاديث الدالة على فضل آيات من سورة بعينها، ويستلزم هذا أن يكون ترتيبها توقيفي، إذ لو جاز تغييرها لما صدقت عليها الأحاديث، عن أبي الدرداء مرفوعاً "مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّال"[1]وكان جبريل يعارض رسول الله – صلى الله عليه وسلم- بالقرآن كل سنة مرة، فلما كان في السنة التي قبض فيها عرضه عليه مرتين"[2]وكان ذلك العرض على الترتيب الآن، وبهذا يكون ترتيب آيات القرآن كما هو في المصحف المتداول في أيدينا توقيفياً لا مراءة في ذلك. ويؤيد هذا القول: أن الرسول – صلى الله عليه وسلم- قرأ بعض السور مرتبة في صلاته، وروى البخاري: عن ابن مسعود أنه قال: ""فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالكَهْفِ، وَمَرْيَمَ: إِنَّهُنَّ مِنَ العِتَاقِ الأُوَلِ، وَهُنَّ مِنْ تِلاَدِي[3]، فذكرها نسقا كما استقر ترتيبها، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف كله عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- ولايمكن تقديم سورة على سورة أخرى [4].

فسورة مريم هي السّورة التاسعة عشرة بحسب الرّسم القرآني، والخامسة والأخيرة من المجموعة الثانية من القسم الثاني من أقسام القرآن قسم المئين[5].

ومن خلال هذا الترتيب نعرف أن القرآن يفسر بعضه بعضا.

---

(1) أخرجه مسلم (809)، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، ج1، ص555.
(2) أخرجه، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، كتاب: فضائل القرآن، باب: كان جبريل يعرض القرآن على النبي –صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محب الدين الخطيب، (دار الفكر) حديث رقم (4998)، ج9، ص43.
(3) **أخرجه البخاري في صحيحه**، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله تعالى: {ومنكم من يرد إلى أرذل العمر} (النحل:70)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (دار طوق النجاة، 1422هـ، ط1) رقم الحديث (4708)، ج6، ص82.
(4) نظر: السيوطي، **الاتقان في علوم القرآن**، ج1، ص216ـــ 217؛ السيوطي، **أسباب النزول**، ص139
(5) ينظر: سعيد حوّى (ت: 1409 هـ)، **الأساس في التفسير**، (القاهرة، دار السلام، 1424 هـ، ط6)، ج6، ص3245.

المطلب الثاني: وجوه التناسب والترتيب بين سورة مريم وبعض سور القرآن.

أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نتدبر القرآن الكريم، وأن نفهمه على الوجه الصحيح، حيث إن درره المكنونة لا يمكن للقارئ المتعجل أن يستخرج هذه الدرر، كيف لا وهو يقرأ كلام الله العظيم الذي نزل بعناية، واشتد حرص النبي – صلى الله عليه وسلم – كما أخبر تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) ... ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [مريم:16-19]، إن هذا الترابط بين السورة والأخرى وتناسق الآيات مع بعضها البعض لابد لهذا الترابط والترتيب من معاني عظيمة، فلو أمعنا النظر لوجدنا التناسب بين سورة مريم وبعض سور القرآن الكريم.

أولاً: التناسب والترتيب بين سورة مريم وآل عمران والمؤمنون.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33) ...إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [مريم: 33-45].

يتضح لي والله أعلم من خلال دراستي لسورة آل عمران وسورة مريم الارتباط الوثيق بين هاتين السورتين فلا تكاد لا تنفك إحداهما عن الأخرى، ولا يمكن استغناء اللاحقة عن السابقة، وكأن الله -سبحانه وتعالى-يخبرنا في سورة آل عمران عن هذه الأسرة الكريمة وكأنه تمهيد لسورة مريم من خلال ترابط الآيات بعضها ببعض.

كما نجد أن سورة آل عمران سميت بهذا الاسم لورود ذكر تلك الاسرة الفاضلة والد مريم ووالدتها، وكيف ولدتها أمها وقد نذرتها محررة فكانت لقصة أسرة مريم صلة في تسمية السورة باسم والدها، كما سميت سورة مريم بهذا الاسم لما له صلة بولادة عيسى -عليه السلام– والعناية الإلهية في ولادته من غير أب فسميت هذه السورة باسم الأم فيظهر التناسب ما بين السورتين إكراماً لهذه الأسرة الطيبة[1].

كما تضمنت السورة أيضا عرض قصة نبي الله زكريا -عليه السلام– وكيف أصلح الله زوجه ورزقه بذرية طيبة، وتضمنت ذكر قصة مريم –عليها السلام– وكيف خلق الله عيسى من غير أب وأقدره على الكلام وهو لا يزال في المهد واثبت طهارة مريم وعفتها، وهذا ما تضمنته سورة مريم، فتشابهت السورتان بذلك[2].

---

(1) ينظر: **التعريف بسور المصحف**، ج1، ص38.
(2) ينظر: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشر الازدي البلخي (ت:150هـ)، **تفسير مقاتل**، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، (بيروت، دار احياء التراث،1423هـ، ط1)، ج1، ص275.

كما نلاحظ أن قصة عيسى وأمه وردت مفصلة في سورتي آل عمران ومريم، أما في سورة المؤمنون فقد وردت قصة مريم وابنها –عليهما السلام-بإيجاز بحسب ما يقتضيه المقام، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: 50]، وهو دليل على قدرة الله تعالى على ما يشاء، وكأن الله -سبحانه وتعالى-يخبرنا في سورة المؤمنون عن سورة مريم وابنها، أي من أراد معرفة هذه الآية العظيمة لابد من الرجوع الى سورة مريم وآل عمران، والله أعلم(1).

ثانياً: التناسب والترتيب بين سورة مريم والانبياء.

من جميل التناسب ما بين سورتي مريم والانبياء، أن كلاً من السورتين تكلمت عن توريث الدين فهو اهم ما جاءت به السورتان، فقد فصلت سورة مريم في الحديث عن مسألة توريث الدين وهذا ما جاءت به سورة الأنبياء من ذكر قصص جمع من الأنبياء وبيّن ما أوتوا من الشرائع والأحكام على وجه الإجمال-وبين ذلك أن دعوتهم الى الله واحدة، وأن جميع الأنبياء قد جاءوا بها، ولم يختلفوا عنها ألا وهي عبادة الله وحده لا شريك له(2).

نلاحظ سياق السورة جاء في ذكر الأنبياء ولم يذكر اسم مريم -عليها السلام– وانما قال: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 91]، هذا من باب المدح لها لأنها أقلّ المذكورين في السورة إنما ذكرت لأجل عيسى -عليه السلام– لأنه نبي وهي ليست نبية، وناسب ذكرهما هنا قصة زكريا وزوجه وابنهما يحيى للقرابة التي بينهم -عليهم السلام-، وكذلك السياق فيه ذكر ابني إبراهيم، ويحيى ابن زكريا(3).

ثالثاً: التناسب والترتيب بين سورة مريم والتحريم.

سورة التحريم هي من السور المدنية التي تناولت البيت النبوي الشريف، والأحداث التي دارت ما بين الرسول – صلى الله عليه وسلم – وبعض أزواجه أمهات المؤمنين –رضوان الله تعالى عنهن-، والأمثال التي ضربها الله -سبحانه وتعالى– عن امرأة فرعون وهو أكبر طاغية على مر العصور، وهو الشخص الوحيد الذي ادعى الربوبية التي لم يتجرأ أحد على ادعائها،

---

(1) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط2، ج5، ص476. والزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ط3، ج18، ص54. والرازي، **مفاتيح الغيب**، ط3، ج23، ص280. ابن عادل، **اللباب في علوم الكتاب**، ط1، ج14، ص223.

(2) ينظر: أحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ)، **تفسير المراغي**، تشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1365 هـ - 1946 م، ط1، ج17، ص68.

(3) ينظر: الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج12، ص459. و السامرائي، **لمسات بيانية**، https://albayanalqurany.com .

حتى إبليس لعنة الله عليه لم يتجرأ على قولها، فقد بلغت به الجرأة، والجسارة، والشدة، والغلظة، لمثل هذا القول.

شاء الله – سبحانه وتعالى– أن تكون زوجته مؤمنة صالحة وقد اختارت العِندية عند الله قبل البيت في الجنة، واختتم الله –سبحانه وتعالى- هذه السورة بأعلى امرأة يضرب بها المثل بالعفة والشرف، وهي تزكية من الله –سبحانه وتعالى-، كما صبرت زوجة فرعون على ظلمه وعذابه، صبرت ابنت عمران على أذى قومها، فاستحقت مرتبة الثناء والمدح والتزكية من الله – سبحانه وتعالى- ولم يذكر اسم ابنها في سياق هذه الآيات لأن السياق في ذكر النساء وهذا من باب علو شأنه -عليه السلام-، وفي ذلك أيضاً تسلية للنساء اللاتي لا أزواج لهن وتطييبٌ لأنفسهن، وهذا ما تضمنته سورة مريم [1].

ومن خلال النصوص القرآنية يوجه الله –سبحانه وتعالى-نساء المؤمنين على الاقتداء بمريم، وآسيا بنت مزاحم –رضوان الله تعالى عليهما-فينبغي للمرأة المؤمنة أن تتأسى وتختار ما عند الله، والله أعلم.

(1) ينظر: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: 465هـ)، **لطائف الإشارات**، تحقيق: إبراهيم البسيوني، (مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3)، ج7، ص445.

المبحث الثاني

التناسب والترتيب بين السورة والسور التي قبلها وبعدها

المطلب الأول: التناسب والترتيب بين سورة مريم والكهف

إن ترتيب القرآن العظيم وضم السور بعضها إلى البعض ومجي هذه السورة قبل تلك، أو وضع السورة بين السورتين ما جاء إلا عن ارتباط وثيق ومناسبة، سواء كانت في الألفاظ أو في المعاني أو من خلال الأمثال، فترابط سور القرآن من الفاتحة الى الناس وكأنه كلام واحد لا يمكن تجزئته، ولا يمكن الفصل بينه.

فسورة الكهف من السور المكية التي دارت أحداثها عن أُولئك الفتية الذين فروا بدينهم الى الله –سبحانه وتعالى- وكذلك صاحب الجنة الذي يفتخر بجنته، وكذلك قصة موسى والخضر -عليهما السلام- وما جرى من أحداث خلالها، وكذلك ذو القرنين، وختم الله السورة بكلماته ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: 109]، ثم تأتي سورة مريم بعد سورة الكهف والتي تبدأ بـ (كهيعص) وهي الأحرف المقطعة التي لا يعلم معناها إلا هو سبحانه، حيث تناولت سورة مريم قصة زكريا –عليه السلام- وما تخللتها من أحداث، وقصة مريم وابنها وما تضمنتها من وقائع، وقصة إبراهيم مع أبيه وما تخللتها من أحداث، وذكر بعض الأنبياء وعن يوم القيامة، حيث من الممكن تلخيص وجه التشابه بين هاتين السورتين:

1- كلاهما من السور المكية التي تعالج الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى- وتثبيت الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

2- تشابه القصص فيما بينهما، والصبر والتحمل الأذى في سبيل الله.

3- السورتان كل منهما تناولت جانباً من جوانب اليوم الآخر، وما أعد الله للمؤمنين وما توعد سبحانه الكفار المعاندين المكذبين للرسل.

4- سميت سورة الكهف بهذا الاسم وجعلها الله معجزة إلى يوم القيامة، وخلد الله –سبحانه وتعالى- ذكر أولئك الفتية الذين صبروا وفروا بدينهم وأخلصوا النية لله –سبحانه-، كما خلد الله مريم ابنة عمران -عليها السلام- التي صبرت على أذى قومها وجعل الله قصتها من خلال هذه السورة قرآناً يتلى إلى يوم القيامة.

وتأتي سورة مريم بعد سورة الكهف وقبل سورة طه، تنتهي سورة الكهف بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110].

وتبدأ سورة مريم بقوله تعالى: ﴿كهيعص (1) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [مريم: 1-2].

نلاحظ أن كلا السورتين مكيتان وتعالجان الموضوعات نفسها وإن سورة الكهف اشتملت على قصص غريبة وعجيبة، وهي قصة أصحاب الكهف وقصة موسى والعبد الصالح -عليها السلام- وقصة ذي القرنين، كما نجد ان سورة مريم تحتوي على قصص أكثر غرابة وهي قصة نبي الله زكريا وبشارته بيحيى -عليهما السلام- بالرغم من كبر سنه ووهن عظمه وعقر امرأته وكبر سنها، مما يزيد في تفكير الانسان بقدرة الله -سبحانه وتعالى-، ثم تأتي قصة أشد غرابة ألا وهي قصة عيسى -عليه السلام- وكيف حملت به مريم العذراء وهي لم تتزوج وجاء عيسى من دون أب، ثم قصة إبراهيم -عليه السلام- بأن الله سبحانه جعل النبوة في أبنائه من بعده، فلما اجتمعت كلتا السورتين في هذا الأمر العجيب ناسب ذكر سورة مريم بعد سورة الكهف[1].

كما نرى أن المناسبة: بين قوله تعالى: في آخر سورة الكهف: ﴿قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾ [الكهف: 109]، وبين قوله تعالى في مدخل سورة مريم: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتابِ مَرْيَمَ ...﴾ [مريم: 16].

إلى قوله تعالى: ﴿ذلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم: 24]، فعيسى -عليه السلام- ليس إلا كلمة من كلمات الله التي لا تنفد.. كما يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ﴾ [النساء: 171][2].

وذكر البقاعي -رحمه الله- وجه التناسب بين السورتين حيث قال: ولما كانت نعم الله -سبحانه وتعالى- مما تفوت الحصر ولا يحيط بها نطاق العد، إلا إنها ترجع إجمالاً إلى إيجاد وإبقاء في النشأة الأولى والآخرة، فقد كان المقصود من السورة التي قبلها الدلالة على ان القرآن قيم لا عوج فيه، ونعمة الإبقاء الأول منتظمة به تمام الانتظام، ودلالة ذلك بأنه ساق المؤول عنه من القصص بأبدع سوق وكشف عن ما يحتاج كشفه بأروع الصور، الى غير ذلك من روائع

(1) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط** ج7، ص237. وينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج16، ص46. وينظر: السيوطي، **أسرار ترتيب القرآن**، ج1، ص115.
(2) ينظر: عبد الكريم يونس الخطيب، (ت: 1390هـ)، **التفسير القرآني للقرآن**، (القاهرة، دار الفكر العربي)، ج8، ص721.

الحكم وغرائب المعاني التي تخللت به، كاشفة فاضحة زيف من ادعى ان لله -سبحانه وتعالى- ولد، ثم اختتمت السورة بوصف الكتاب والتوحيد وبأن النبي مرسل ليبشر وينذر، ويرشد الى الغاية والوجودية وهي التوحيد، ثم افتتح سورة مريم بزكريا وبشارته بيحيى بعد الشيخوخة وقطع الأمل وعقر الزوج، حتى سأل زكريا مستفهما ومتعجبا، قال تعالى:﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ [مريم: 8]، فأجابه –تعالى- بأن ذلك عليه هين، ليجعله آية للناس، وقال هذه القصة أغرب وأعجب من القصص االسابقة، فكأنه قد قيل: أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً، فنحن نخبرك بخبرهم ونخبرك بما هو أعجب وأغرب وأوضح آية، وهي قصة زكريا وابنه يحيى -عليهما السلام- وقصة عيسى في كونه جاء من غير أب، دلائل كونه من عند الله وليعلم أن الأسباب في الحقيقة لا يتوقف عليها شيء من مسبباتها الا بحسب سنة الله وإنما الفعل له سبحانه لا بسبب[1].

المطلب الثاني: التناسب والترتيب بين سورة مريم وطه.

جاء في أواخر سورة مريم قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا (97) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم:97-98]. وفي أوائل سورة طه قوله تعالى: ﴿طه (1) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2) إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ [طه: 1-3].

نجد أن وجه التناسب الموضوعي بين سورة مريم وسورة طه "أن طه نزلت بعد سورة مريم، ووجه رابط أول هذه بآخر تلك أنه سبحانه ذكر هناك تيسير القرآن بلسان الرسول عليه الصلاة والسلام معللا بتبشير المتقين وانذار المعاندين، وذكر تعالى هنا ما فيه نوع من تأكيد ذلك وجاءت آثار تدل على مزيد فضلها"[2].

وإن كلا السورتين ابتدأت بالحروف المقطعة، وأنهما مكيتان يعالجان نفس الموضوع، وغرضهما الأساسي التركيز على أصول الدين من التوحيد والنبوة والبعث والنشور[3].

"وكان مطلعها هذا مناسبا تمام المناسبة لخاتمة سورة (مريم) التي سبقتها مباشرة، تلك الخاتمة التي تضمنت التنويه بكتاب الله، إذ جاء فيها قوله تعالى بالخصوص: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ

(1) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج4، ص517.
(2) الالوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج16، ص147.
(3) ينظر: الصابوني، **صفوة التفاسير**، ج2، ص178.

بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [مريم: 97]، فكانت بداية سورة طه تأكيدا جديدا لنهاية سورة مريم، إذ (التذكرة) التي استعملها كتاب الله هنا هي نفس (البشارة والنذارة) التي استعملها هناك"[1].

إن أواخر سورة مريم مترابطة كل الترابط بأول سورة طه ومتناسبة كل التناسب في المعنى؛ لان نزول القرآن الكريم باللسان العربي فيه من السهولة واليسر على كل عربي يقرأ القرآن الكريم من غير عوج فيه ولا غموض، لأن فيه من الإبانة واليسر ووضوح الدلالة وروعة الأداء وجلال السياق يملأ أجواء المؤمنين بعطره ونوره، ليجد العرب مجال التفكير والتذكير لإبانة البينات في النفوس، لأن الناس ثلاثة أقسام: قسم آمنوا بالحق الذي جاءهم وهم خلية الايمان الأولى من أمثال أبي بكر وبلال وصهيب وزيد بن حارثة، وقسم قلبه منفتح للحق يجيبوا داعي الله هم الذين يبشرهم القرآن بالجزاء الأوفى، وقسم اللُّدُّ وهم الذين يجادلون بغير الحق، وهؤلاء ينذرهم القرآن الإنذار الشديد لكيلا يكون لهم عذر في كفرهم، ولتقوم الحجة عليهم، كما قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيهَا نَذِير﴾ [فاطر:24]، فجاء مفتتح سور طه مؤكداً كل هذه المعاني بقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ [طه: 3][2].

وذكر البقاعي -رحمه الله-: وجه المناسبة والارتباط بين اول سورة طه وأواخر سورة مريم، بأنه -سبحانه وتعالى- ذكر في آخر سورة مريم تيسير القرآن بلسان الرسول -صلى الله عليه وسلم- معللا تبشير المتقين وإنذار المعاندين حيث قال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [مريم: 97]، وذكر-تعالى- في بداية سورة طه بأن الله لم يرد من إرساله وانزال القرآن عليه أن يشقى لذلك ولكن أراد أن يذكر بالقرآن من يخاف وعيده، حيث قال: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [طه: 2] فالمقصود من السورة --كما تقدم- تشريف هذا النبي الكريم -عليه الصلاة والسلام- بإعلامه بالرفق بأمته والاقبال عليه بقلوبهم، كما أنزل عليهم السكينة وثبت أفئدتهم وهم في غاية الضعف والقلة والهلع والخوف، وحماهم ممن يريد قتلهم حينما اشتد عليهم البأس ولم يهتدوا لدفع العدو عنهم، ولين قلب عمر -رضي الله عنه- بعد ما كان فيه من الغلظة وجعله وزيراً[3].

ومن التناسب وجود إشارات بين السورتين من الارتباط القصصي، لأن الله تعالى ذكر في سورة مريم عدد من قصص الأنبياء والمرسلين، بطريقة البسط والإطناب كقصة زكريا

---

(1) محمد المكي الناصري (ت: 1414هـ)، **التيسير في أحاديث التفسير**، (بيروت ـــ لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1405 هـ - 1985 م، ط1)، ج4، ص94.
(2) ينظر: أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج9، ص4695.
(3) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج12، ص266.

ويحيى وعيسى –عليهما السلام– وبعضها بين الإيجاز و البسط، كقصة إبراهيم –عليه السلام- وبعضها مجمل كقصة موسى –عليه السلام– بينما ذكر في سورة طه قصة موسى –عليه السلام– بالتفصيل، ثم فصل قصة آدم –عليه السلام– التي لم يذكر منها في سورة مريم الا اسمه[1].

(1) ينظر: المراغي، **تفسير المراغي**، ط1، ج16، ص93.

المبحث الثالث

التناسب والترتيب بين سورة مريم والسور ذات المطالع المتشابهة والسور ذات المواضيع المتقاربة

المطلب الأول: التناسب والترتيب بين سورة مريم والسور ذات المطالع المتشابه

توقف العلماء عند السور التي لها ذات المطالع المتشابه لكشف المشترك فيها، والمعاني التي يمكن أن تستخلص من ترتيبها في كتاب الله تعالى.

ابتدأت سورة مريم بالأحرف الخمسة، وهي تكاد تنفرد في هذا الابتداء وبهذا العدد الكثير من الحروف، والتي لا يشاركها في هذا العدد الا سورة الشورى، فقد بدأت هذه السورة بخمسة أحرف ايضاً بهذا الترتيب (حم عسق)، وقد انفردت كل منها بأربعة احرف واشتركتا معاً في حرف واحد وهو العين، وهذا العدد هو غاية ما بدأ به من حروف مقطعة، فقد بدأت بعض السور بحرف او حرفين وبعضها بثلاثة وبعضها بأربعة مثل (ص) و (ق) و(طه) و (طسم) و (المص) ومما يلفت النظر في هذا أن الكلمة العربية قد تبنى على حرف واحد او حرفين او ثلاثة احرف او أربعة او خمسة احرف مثل (ق) و (قل) و (بعثر)، ومن الملاحظ أن هذه الحروف يمكن النظر اليها على أفعال أو أسماء، لكل واحدة منها دلالة خاصة يعرفها النبي ويرى ما لا يراه غيره، وقد يشاركه بعض المؤمنين الذين رسخوا في العلم بهذه الرؤية وبرؤيته –صلى الله عليه وسلم– ينكشف كثير من الاسرار والمعارف التي تحتويها هذه الاحرف في كيانها، وبهذا يتبين أن الله سبحانه وتعالى قد أوحى الى نبيه الكريم بهذه الاحرف والتي تحمل في طياتها دلالات وإشارات والتي يعرف تأويلها -صلى الله عليه وسلم-، بما آتاه الله من علم، وحاله في هذا الأمر حال الأنبياء الذين سبقوه، فقد أوصى سبحانه وتعالى إليهم أيضا بمثل ما قد أوصى به إليه من هذه الحروف المتقطعة، والتي هي رموز وإشارات ودلالات يعرفون تأويلها، ويشاركهم بعض أتباعهم المؤمنين الراسخين في العلم[1].

يضاف إلى ذلك: أن سورتي (مريم) و (ص) بارزتان في جو الذكر والتذكير فكلتاهما تبدآن بالذكر ثم يتكرر فيهما الأمر به، ويمكن أن يلاحظ الأمر نفسه في سورة الأعراف، التي تتضمن فاتحتها حرف الصاد، حيث يتكرر فيها مادة الذكر في عدد من الآيات كذلك وبداية من مطلعها.

(1) ينظر: الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، ج13، ص16-17.

المطلب الثاني: التناسب والترتيب بين سورة مريم والسور ذات المواضيع المتقاربة.

أولاً: التناسب والترتيب بين سورة مريم وسورتي النساء والمائدة.

اتضح لي والله أعلم كمية التناسب والتشابه ما بين سورة مريم وسورتي النساء والمائدة، فنجد أن هذه السور قد تناسبت وتشابهت في كثير من المقاصد وأبرزها هي مسألة توحيد الله وحده وذلك بإفراده –سبحانه-بالربوبية والألوهية، وهذا المقصد أهم ما جاءت به سورة النساء فتشابهت بذلك مع سورة مريم التي أولت مسألة التوحيد اهتماماً كثيراً[1].

كما ورد في سورة النساء والمائدة تصحيح العقيدة في الله للبشر أجمعين، وإنقاذهم من كل انحراف، أو غلو أو تفريط، وذلك بيان حقيقة عيسى بن مريم –عليهما السلام– وإنه عبد الله ورسوله وذلك بإقامة الحجة على النصارى وبيان زيف ادعائهم وإبطال عقيدة التثليث، فقد ورد الرد في سورة النساء على الفريقين معًا، فردَّ على اليهود بقوله : ﴿ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 156]، وعلى النصارى بقوله: ﴿ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْه﴾ [النساء:171]، إلى قوله: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِله﴾ [النساء: 172][2].

كما إن اسم مريم ورد ذكره في سورة النساء مجرداً عن عيسى –عليه السلام– مرتين في سياق ذم اليهود لاتهامهم مريم بالبهتان او في تقرير حقيقة كون عيسى كلمة الله والقاها الى مريم، وكذلك نجد أن سورة مريم قد ورد فيها اسم مريم مجرداً عن عيسى –عليه السلام– مرتين، فنلاحظ تناسب السورتين والتشابه الكبير بينهما[3].

ثانياً: التناسب والترتيب بين سورة مريم ويوسف.

تعد سورة يوسف هي إحدى السور المكية التي تناولت قصص الأنبياء منها بالتفصيل ومنها بالإيجاز وهذا دلالة على إعجاز القرآن قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: 11]، وقد تحدثت السورة عن قصة نبي الله يوسف بن يعقوب -عليهما السلام- وما لاقاه من أنواع البلاء من إخوته والآخرين، شبيهة بقصة سيدتنا مريم وما لاقته من أنواع

(1) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج1، ص362؛ وينظر: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: 1250هـ)، **فتح القدير**، (دمشق، بيروت، ابن كثير، الكلم الطيب، 1414هـ، ط1)، ج2، ص286.

(2) ينظر: المصر نفسه، ج9، ص417؛ والماتريدي، **تفسير الماتريدي**، ج3، ص 426.

(3) ينظر: صلاح الخالدي، **القصص القرآني**، (دمشق، دار القلم،1419هـ، 1998م، ط1)، ج4، ص163.

البلاء والمحن والشدائد من قومها، وبشرهما الله سبحانه وتعالى بأن جعل يوسف عزيز مصر، ومريم وابنها آية لقومها وجعل ابنها نبياً وبرَّأها، من التهم التي اتهموها بها، كما أن في سورة يوسف أسلوباً فريداً في ألفاظها وتعبيرها وأدائها وفي قصصها الممتع اللطيف وتسري مع النفس سريان الدم في العروق وجريان الروح في الجسد ومع أن السور المكية الغالب فيها تحمل طابع الإنذار والتهديد إلا أن سورة يوسف اختلفت عن هذا الأسلوب فجاءت ندّية في أسلوب ممتع رقيق يحمل جو الأنس والرحمة[1]، وقد قال عطاء[2]: " لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استراح إليها "، وقال خالد بن معدان[3]: " سورة يوسف ومريم مما يتفكّه به أهل الجنة في الجنة "، [4]، وهذا ما وجدناه في سورة مريم فظهر لنا التشابه والتناسب والتناسق بين السورتين.

ثانياً: التناسب والترتيب بين سورة مريم وسورة الحجر والذاريات وهود.

قال تعالى في سورة الحجر: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (51) ...قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: 51-56]، وقال في سورة الذاريات: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (24)...قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ [الذاريات:24-30].

نلاحظ ثمة تشابه بين السورتين في محتوى القصتين وتقارباً بينهما الى درجة كبيرة، وهذه القصة التي وردت في سورتي الحجر والذاريات وضحت لنا هنا ما دار بين إبراهيم-عليه السلام-وبين الملائكة الذين جاءوا لبشارته بابنه إسحاق، مناسباً لما جاء في سورة مريم، حين رزق الله سيدنا زكريا بابنه يحيى –عليهما السلام– وبشارة مريم بعيسى –عليهما السلام-[5].

وكذلك في سورة هود ذكرت قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام- وبشارته بالولد، وهو شيخ كبير وامرأته عجوز عقيم فتعجبت من ذلك[6].

وهذا هو التناسب والتقارب بين سورة مريم والحجر وهود والذاريات.

---

(1) ينظر: الصابوني، **صفوة التفاسير**، ج2، ص46.

(2) عطاء بن أبي رباح أسلم القرشي، الإمام، شيخ الإسلام، مفتي الحرم، أبو محمد القرشي المكي، ولد: في أثناء خلافة عثمان، ونشأ بمكة، حدث عن: عائشة، وأم سلمة، وأم هانئ، وأبي هريرة، وابن عباس، وعدة من الصحابة، وكان من أوعية العلم، وكان ثقة، فقيها، عالما، كثير الحديث، قيل: مات عطاء سنة أربع عشرة ومائة للهجرة. ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج9، ص97.

(3) خالد بن معدان بن أبي كرب الكلاعي، الإمام، شيخ أهل الشام، أبو عبد الله الكلاعي، الحمصي، حدث عن: خلق من الصحابة، روى عن: ثوبان، وأبي أمامة الباهلي، ومعاوية، وأبي هريرة، وغيرهم كثير، وهو معدود في أئمة الفقه، واختلف في سنة وفاته، وقال ابن سعد: أجمعوا على أنه مات سنة ثلاث ومائة هجرية. ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج8، ص104.

(4) ينظر: الحنبلي، **اللباب في علوم الكتاب**، ط1، ج11، ص7.

(5) ينظر: طنطاوي، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، ط1، ج14، ص19. والزحيلي، **التفسير الوسيط** ط1، ج3، ص2503.

(6) ينظر: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (مؤسسة الرسالة،1420هـ -2000م، ط1)، ص385.

ثالثا: التناسب والترتيب بين سورة مريم وسورة النور.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (11) ...وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (20)﴾ [النور: 11-20].

نلاحظ ثمة تشابه بين السورتين، حيث أن سورة النور تحدثت عن قصة سيدتنا عائشة –رضي الله عنها- وكيف رماها المنافقون بالإفك والبهتان، قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ حيث قالوا بما قالوه من الكذب في حقها، شبيهة بقصة سيدتنا مريم العذراء وكيف اتهمها قومها بالبهتان، فغار الله لها ولنبيه –صلى الله عليه وسلم- فأنزل الله –سبحانه- بحقها قرآناً يتلى إلى يوم الدين يشهد على براءتها، وهذا غاية الشرف والفضل، كما توعد الله –سبحانه- المنافقين بالعذاب الشديد على ما جاءوا به من البهتان العظيم، قال المفسرون: وقصة سيدتنا عائشة –رضي الله عنها- فيها من الخير ما فيها: تبرئتها من الإفك، وإكرام الله لها بإنزال الوحي في شأنها، والأجر العظيم لها، وموعظة المؤمنين، والانتقام من المنافقين، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ [النور: 11][1].

(1) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج6، ص19؛ والسعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ط1، ص563.

الفصل الثاني

وجوه التناسب والتراتيب الداخلية في سورة مريم

المبحث الأول

التناسب والترتيب بين اسم السورة ومضمونها، وبين فاتحتها وخاتمتها، وبين مواضيعها وأهدافها

المطلب الأول: التناسب والترتيب بين اسم السورة ومضمونها.

هناك تناسب بين أسماء السور وبين مضمونها، حيث دلالة الاسم على المسمى، وفي ذلك يقول الإمام الزركشي تحت عنوان: "اختصاص كل سورة بما سميت: ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به، ولا شك أن العرب تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى، ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز"[1].

تضمنت سورة مريم تقرير التوحيد وتنزيه الله –جل وعلا- عما لا يليق به، وتثبيت عقيدة الإيمان بالبعث والجزاء، ومحور هذه السورة يدور حول التوحيد والإيمان بوجود الله، و وحدانيته، وبيان منهج المهتدين، ومنهج الضالين حيث عرضت السورة الكريمة لقصص بعض الأنبياء مبتدئة بقصة نبي الله (زكريا) وولده (يحيى) الذي وهبه الله على الكبر من امرأة عاقر لا تلد، ولكن الله قادر على كل شيء، يسمع دعاء المكروب، ويستجيب لنداء الملهوف، ولذلك استجاب الله دعاءه[2].

ثم انتقلت السورة إلى قصة أعجب وأغرب تلك هي قصة (مريم العذراء) وإنجابها لطفلٍ من غير أب، وقد شاءت الحكمة الإلهية أن تبرز تلك المعجزة الخارقة بميلاد عيسى من أمٍ بلا أب، لتظل آثار القدرة الربانية ماثلة أمام الأبصار بعظمة الواحد القهار، وقوله: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: 30]، بين فيها ردّاً للوهم الذي ذهبت إليه النصارى، وعلى الجفاة النافين عنه ما أنعم الله به عليه، وبراءة أمّه مما اتهمت به [3].

---

(1) الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج1، ص270.
(2) ينظر: البغوي، **معالم التنزيل**، ط4، ج5، ص218.
(3) ينظر: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: 373هـ)، **بحر العلوم**، ج2، ص373.وأبو حيان، **البحر المحيط** ج7، ص239.

وتحدثت كذلك عن قصة إبراهيم –عليه السلام- مع أبيه، وما دعاه الى عبادة الله وحده، ونهيه عن عبادة الأصنام، هادياً له من تيه الضلال مستعطفاً له في كل جملة بقوله: (يا أبت)، استخدم أسلوب الرفق واللين واللطف والأدب الجميل في نصحه براً بأبيه، فوهبه الله إسحاق ويعقوب، وجعل له لسان صدقٍ علياً، وهو الثناء الحسن، حيث كان أسلوب الأبناء يحيى وعيسي وإبراهيم في سورة مريم ببر الوالدين مع التوحيد[1].

ثم ذكر الله في هذه السورة جملة من الأنبياء الكرام (إسحق، يعقوب، موسى، هارون، إسماعيل، إدريس، نوح) وقد استغرق الحديث عن هؤلاء الرسل الكرام حوالي ثلثي السورة، يأمر الله نبيه –صلى الله عليه وسلم- أن يذكرهم، لأن في ذكرهم إظهار الثناء على الله وعليهم، وبيان إحسانه وفضله إليهم، والحث على محبتهم، والاقتداء بهم والإيمان بهم، والهدف من ذلك إثبات (وحدة الرسالة) وأنَّ الرسل جميعاً جاءوا لدعوة الناس إلى توحيد الله ونبذ الشرك والأوثان [2].

كما نلاحظ في هذه السورة هبة الله لهؤلاء الصالحين الذين خصهم الله بوحيه، واختارهم لرسالته، يحيى لزكريا وعيسى لمريم وإسحاق لإبراهيم وهارون اخاً لموسى ونبياً معه، فهذه السورة تسمى بسورة المواهب؛ وهي ما وهبه الله لأنبيائه من الذرية الطيبة، والعلم النافع، والعمل الصالح[3].

ولما ذكر تعالى زمرة السعداء، وهم الأنبياء ومن اتبعهم من المؤمنين ذكر من نبذ دعوتهم ممن خلفهم، بقوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ [مريم: 59]، فهذه حال المفرطين في عبادة الله، ثم استثنى من تاب وآمن بأن له جنات تجري من تحتها الأنهار، وعد من الله وعد بها عباده بالغيب، وهم أهل تحقيق العبادة، ثم قال سبحانه: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: 36]، ثم قال سبحانه: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ [مريم: 56][4].

ثم ذكر حال منكري المعاد وحال من جعل له الأولاد، ﴿وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ [مريم: 66]، ثم ذكر قَسَم الله تعالى باسمه مضافاً إلى نبيه تحقيقاً للأمر وتعظيماً لشأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على حشدهم مع قرنائهم من الشياطين،

(1) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج12، ص204.
(2) ينظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ط1، ص494.
(3) ينظر: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: 741هـ)، **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، (بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، 1416هـ)، ج1، ص482؛ والسعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ط1، ص494–496.
(4) ينظر: القاسمي، **محاسن التأويل**، ط1، ج7، ص105– 106.

وإحضارهم حول جهنم جثياً، ليرى السعداء ما نجاهم الله منه فيزدادوا سروراً، ويعطي الأشقياء ما جمعوه لمعادهم فيزدادوا غيظاً[1].

ثم ذكر حال من اصر على الباطل واستهزأ بالدين بلا علمٍ بالواقع، ولم يتخذ عند الله عهداً بالمشروع[2].

ثم ذكر حال الذين قالوا اتخذ الرحمن ولدًا، فنفى الولد عن نفسه، ورد على من أثبتها، وأثبت الود للمؤمنين ردًا على من أنكرها، فقال: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: 96]، أي: يحبهم، ويحببهم إلى خلقه، كما جاء في الصحيحين: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ»[3] وهذا ما اختتمت به السورة[4].

كما نلاحظ تناسب بين (كهيعص) وصلتها بمضمونها حيث قال الحسن: هو صلة ﴿كهيعص. ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [مريم: 1-2]، ويقول: اذكر رحمة ربك إبراهيم، وكذلك يجعل جميع ما ذكر في هذه السورة من نحو هذا صلة على ما ذكر، كأنه ذكر (كهيعص) ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: 41]، و (كهيعص) ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: 51]، و (كهيعص) ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: 54]، و (كهيعص) ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: 56]، في كل ذلك على ما ذكر إن تفسيرها على إثرها، والله أعلم[5].

---

(1) ينظر: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: 685هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1418 هـ، ط1)، ج4، ص72.

(2) ينظر: طنطاوي، **التفسير الوسيط** ص2802.

(3) **أخرجه البخاري في صحيحه**، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم الحديث (3209)، ج4، ص111.

(4) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج10، ص346.

(5) ينظر: الماتريدي، **تفسير الماتريدي**، ط1، ج7، ص238.

المطلب الثاني: التناسب والترتيب بين فاتحتها وخاتمتها.

من خلال تدبري في سورة مريم وجدت أن التناسب والارتباط بين مطلعها وخواتيمها رابط مشترك، وفيه من التناسب والجمال ما يفضي الى النفس، حيث ابتدأت السورة برحمة خاصة وهي رحمة الله –تعالى- لأنبيائه وأصفيائه من خلقه، وختمها الله سبحانه وتعالى بمنِّه وفضله برحمة عامة شملت المؤمنين.

ذكر السيوطي (رحمه الله): افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها، ثم هو يخفى تارةً ويظهر أخرى[1].

ويقول البقاعي (رحمه الله): في التناسب والتناسق بين ختام السورة ومطلعها، أنها ختمت بما بدأت به من الرحمة لأوليائه، والمودة لأصفيائه، فحلت الرحمة على أوليائه، وانجلت عن أعدائه[2].

وذكر السامرائي: أن سورة مريم في أولها ذكر رحمته بعبد من عباده وهو زكريا ـــ عليه السلام ـــ قال تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [مريم: 2]، وذكر في الآخر رحمته بعباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: 96]، فذكر رحمته بعبد من عباده في الأول وذكر رحمته بعباده المؤمنين على الإطلاق، وبشر في أولها عبداً من عباده وهو زكريا عليه السلام- قال تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: 7]، وفي الآخر بشر عباده المتقين فقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [مريم: 97]، تبشير ورحمة لعبده في الأول، وتبشير ورحمة لعباده المتقين في الآخر، بدأ بالفرد وانتهى بالجماعة، ورحمته ليست خاصةً بعبد من عباده و كذلك التبشير ليس خاصاً، فسورة مريم بدأت فيها رحمة وتبشير بعبدٍ من عباده وتنتهي بالناس بعموم المتقين[3].

وهذا مما يدل على مدى التناسق والتناسب بين ختام السورة ومطلعها.

---

(1) ينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، (بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، 1408 هـ - 1988 م، ط1)، ج1، ص52.
(2) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج12، ص254.
(3) ينظر: السامرائي، **لمسات بيانية ـ تناسب افتتاح السور وخواتيمها في القرآن الكريم** http://islamiyyat.com/

المطلب الثالث: التناسب والترتيب بين مواضيعها وأهدافها.

العنوان أشبه بالباب أو العتبة التي منها يُدخل إلى النص، فضلاً عن دوره في التحديد والتمييز بين النصوص، إضافة إلى دورها في الإغراء بالقراءة، من خلال السور المسماة بحروف الهجاء.

ويتناول هذا المطلب قصة مريم ـــ عليها السلام ـــ والتي بها سميت السورة الكريمة، وموضوع سورة مريم، والتناسب بين مواضيعها وأهدافها.

تبدأ سورة مريم –عليها السلام- بسرد قصة زكريا –عليه السلام- الذي دعا الله –سبحانه وتعالى- بنداء خفي، بعد أن بلغ به العمر ما بلغ، حيث وهن العظم منه واشتعل الرأس شيباً، وكان يخشى على إرث النبوة أن يضيع، فبشرته الملائكة وهو يصلي بالمحراب بيحيى سيداً ونبياً، ولا يحيد عن طريق والده، فبشره الله بغلامٍ لم يكن جباراً عصياً، فكلمة جبار هي ضد الرحمة، وعصياً أيضاً ضد البر، والبر من الرحمة، والهدف من هذه القصة إظهار إعجاز الحق سبحانه، فقد خلق آدم من العدم فكان أهون على الله –سبحانه- أن يخلق من زكريا يحيى –عليها السلام- كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: 9][1].

من خلال ما تقدم أعلاه نجد الرابط المشترك بين الهدف وموضوع القصة؛ استجابة الله –سبحانه- لنبيه زكريا –عليه السلام- والمعجزة ولادة يحيى –عليه السلام-.

بعد أن أتممنا قصة زكريا –عليه السلام- وما تخللتها من حوادث، كما نجد آثار الرحمة في هذه الآيات الجليات الواضحات؛ لينتقل بنا القرآن العظيم لقصة عظيمة وهي أغرب وأعظم من قصة زكريا وابنه يحيى –عليهما السلام- كما قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: 16-17]، ليخبرنا الحق سبحانه عن هذه البنت الصالحة العذراء الشريفة؛ التي سمى الله –سبحانه وتعالى- هذه السورة باسمها ولم يسمِ سورة أخرى باسم امرأة مثل سورة مريم، فحينما نزل جبريل –عليه السلام- بصورة بشر قالت إني أعوذ بالرحمن، فخصت الرحمن بالذكر، ولم تذكر غير اسم من أسماء الله سوى الرحمن، لتثير مشاعر التقوى في نفس جبريل –عليه السلام-، لأن الإنسان التقي يهتز وجدانه عند ذكر الرحمن، وبهذا تكون مريم قد جمعت بين الاعتصام بربها، وبين تخويف جبريل وترهيبه من عذاب الله، وبهذا تكون مريم –عليها السلام- قد بلغت

(1) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج7، ص237. والبقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج12، ص165.

أسمى درجات العفاف والطهارة والبعد عن الريبة، وكان مناسباً هذا القول مع المقام[1]، فحملت بعيسى –عليه السلام- وقال لها المَلَك إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً، أي لا نقاش فيه، لذلك تولى الله –سبحانه وتعالى- الدفاع عن مريم ولم تدافع هي عن نفسها، بقوله تعالى: ﴿ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [مريم: 26]، فرجعت إلى قومها تحمله فتعجبوا من ذلك وجعلوه أمراً فرياً، فأشارت إليه ولم تتكلم فتعجبوا من كلام الصبي حيث قال: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) ... وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: 30-32]، فقال براً بوالدتي ولم يقل بوالدي[2].

فالهدف من هذه القصة أن الله –سبحانه وتعالى- كما وهب لزكريا وزوجه ولدهم يحيى بعدما طعنا بالسن، نجد هنا قد خلق عيسى من أمٍ بلا أب لتتجلى عظمة الله سبحانه ومعجزاته التي لا تنقطع في هذه القصة العظيمة، والربط بين القصة وهدفها واضحٌ كوضوح الشمس؛ وهو براءة السيدة البتول مما نسب إليها من الزور والبهتان، بإنطاق عيسى وهو بالمهد، وكيف برَّأ والدته من هذا البهتان العظيم.

لينتقل بنا القرآن الكريم مرةً أخرى إلى اختلاف اليهود والنصارى في عيسى، حيث قالوا إن عيسى ابن الله؛ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وفريق قالوا ثالث ثلاثة، فرد القرآن عليهم بقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34)... وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [مريم: 34-36]، فأخبر الله –تعالى- عن اختلاف الفريقين فيما بينهم فتوعدهم الله بالويل للذين كفروا وجعلهم هم الظالمين، وأخبرهم عن يوم الحسرة، حيث يجمع الله الأولين والآخرين في صعيدٍ واحدٍ ليفصل بينهم بالحق وهم لا يظلمون[3].

ثم ينتقل بنا القرآن إلى محاورةٍ جديدةٍ ما بين خليل الرحمن إبراهيم –عليه السلام- وأبيه، من خلال النداء يا أبتِ وهو تلطف ولين ورحمة كما نجد لفظ الرحمن قد تكرر في المحاورة مرتان، فبعد أن دعاهم سيدنا إبراهيم إلى عبادة الله ونصحهم ولم يقبلوا النصح هجر ملة الشرك، كما قال تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ الله وادعوا رَبّي عسى أَن لا أَكُونَ بِدُعَاء رَبّى شَقِيّا﴾ [مريم: 48]، فعوضه الله سبحانه عن هذا الاعتزال بإسحق ويعقوب وجعلهم أنبياء وجعل

(1) ينظر: سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط**، ص2770؛ وأبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج4، ص1980.
(2) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط2، ج5، ص226.
(3) ينظر: البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، ج4، ص48–53.

فيهم النبوة، قال تعالى: ﴿وَهَبْنَا لَهُ إسحاق وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيّاً﴾ [مريم: 49]، فلم يأتِ نبي من بعد إبراهيم –عليه السلام- إلا وكان من نسله[1].

والهدف من هذه القصة هو الصراع الذي دار ما بين الحق والباطل، والحق المتمثل بسيدنا إبراهيم –عليه السلام-، والباطل المتمثل بأهل الشرك آنذاك، فإن الرابط ما بين هذه القصة وهدفها هو ثبات سيدنا إبراهيم واعتزاله عن أهل الشرك والباطل، فهبة الله له أن جعل الله في عقبه النبوة والرسالة المتمثلة بإسحق ويعقوب –عليهما السلام-.

لينتقل بنا الحق –سبحانه- ويذكرنا بنبيٍ آخر ألا وهو كليم الله موسى –عليه السلام- حيث كان مخلصاً ورسولاً ونبياً، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (51) ... وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا (53) ﴾ [مريم: 51-53]، فوهبه الله إكراماً لإخلاصه أن جعل له أخاه هارون نبياً[2].

ثم ذكر الله سبحانه: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (54) ...أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: 54-58]، وصفهم الله –سبحانه وتعالى- مما تقدم في النص أعلاه أنهم إذا ذُكِّروا بآيات الله خروا سجداً وبكياً، أي ساجدين بكّائين، من جاء بعدهم أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات[3].

الهدف من هذه الآيات تذكير العباد بطاعة الله –سبحانه وتعالى- وما أعد لهم من جنات النعيم، وإنذار المعاندين الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات بالويل والثبور، فالرابط بين هذه الآيات واضح وهو ما أعد الله للمؤمنين المتقين، وتوعد -سبحانه- بالهلاك للمعاندين، ثم بين سبحانه في الآيات النعيم المقيم، وصفات المؤمنين.

---

(1) ينظر: الشوكاني، **فتح القدير**، ج4، ص460.

(2) ينظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671 هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، (المملكة العربية السعودية، دار عالم الكتب، الرياض، 1423 هـ/ 2003 م، ط2، ج11، ص114؛ وينظر: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (بيروت، دار إحياء التراث العربي)، ج5، ص269.

(3) ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ط2، ج11، ص120. وينظر: الصابوني، **صفوة التفاسير**، ج2، ص202.

وتتجلى الصلة بين موضوعات السورة وبين معنى العبودية من كون مريم قد نذرتها أمها محررةً أي خالصةً للعبادة؛ تخدم مسجد بيت المقدس، وسمتها مريم فكانت إحدى العابدات الناسكات المشهورات بالعبادة والتبتل الدؤوب، وقد بلغت الغاية في مقام العبودية لله تعالى[1].

(1) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج5، ص194.

المبحث الثاني

التناسب والترتيب بين كل آية وما قبلها وما بعدها

المطلب الأول: أوجه التناسب والترتيب بين الآيات في قصة سيدنا زكريا وابنه يحيى – عليهما السلام-.

لكل ابتداء استهلال وهذا الاستهلال الحروف المقطعة.

قال أبو هلال العسكري: "وإذا كان الابتداء حسناً بديعاً، ومليحاً رشيقاً، كان داعية إلى الاستماع لما يجئ بعده من الكلام، ولهذا المعنى يقول الله عز وجل: آلم. وحم. وطس. وطسم. وكهيعص، فيقرع أسماعهم بشيء بديع ليس لهم بمثله عهد، ليكون ذلك داعية لهم إلى الاستماع لما بعده والله أعلم بكتابه"[1].

قال تعالى: ﴿كهيعص (1) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [مريم: 1- 2].

(كهيعص) الكاف: من الكافي، والهاء: من هاد، والياء: يا من يجيب من دعاه ولا يخيب من رجاه لما تعقبه من دعاء زكريا، والعين: من عالم، وأما الصاد فإنها من صادق في قول جميعهم بأنها حروف أسماء الله، فنلاحظ جمالية التناسب والتناسق بين الحروف التي جمعت بكلمة ذات معانٍ مناسبة لذكر حال من كفاه وهداه فقال: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [مريم: 2]، لما خصه بالرحمة وتشريفه بالذكر دل ذلك على كمال القرب، فقال:﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: 3]، فذكر رحمته حين أجابه إلى ما سأله[2].

يقول الطبري: "حين دعا ربه، وسأله بنداء خفي، يعنى: وهو مستسرّ بدعائه ومسألته إياه ما سأل، كراهة منه للرياء، روى قتادة في قوله: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ أي سرّا، وإن الله يعلم القلب النقيّ، ويسمع الصوت الخفيّ"[3].

ناسب أن يذكر بعد حال ضعفه، ونحل عظمه، قال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: 4]، حذف الأداة للدلالة على غاية القرب، وعطف عليه بقوله: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ

(1) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: 395هـ)، **الصناعتين**، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت، المكتبة العنصرية، 1419 هـ)، ص437.

(2) ينظر: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: 450هـ)، **النكت والعيون**، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية)، ج3، ص8؛ والبغوي، **معالم التنزيل**، ط4، ج5، ص218.

(3) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ط1، ج18، ص142؛ البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج12، ص168-169.

لَدُنْكَ وَلِيًّا (5) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (6)﴾ [مريم: 5-6] توريثاً للدين والعلم والنبوة وليس للمال[1].

ثم تأتي البشارة بعد الدعاء بعين الرضا، قال تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: 7]، : فقال جواباً على هذه البشارة: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: 8]، وجاء في قوله (أَنَّى) استفهام مستخدم في التعجب، معبرًا عنه بالشكر، عن هذه البشارة، لأنّه لا يمكن أن يسأل الله أن يعطي له ولداً ثمّ يتعجب من استجابة الله له[2].

فجاءت جملة (قال كذلك) جواباً عن تعجبه، وإبطال التعجب الذي في قوله: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: 9]، فضمير (قال) عائد إلى الرب من قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾، وكذلك جملة (هو عليَّ هين) تعليل لإبطال التعجب، حيث أجاب الله لاستفهام زكريا، حيث قال له بأن الأمر سهل ولا يحول بيننا وبين تنفيذ إرادتنا، وإنما الفعل له سبحانه لا لسبب وإلى هذا أشار قوله تعالى لزكريا -عليه السلام- ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾، ثم جاء الجواب بعد علمه بذلك فقال: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم: 10]، فأعقبها بالتسبيح إشارة إلى حصول أمر عجيب، وخص التسبيح بالذكر لأن العادة جارية عند حدوث أمر عجيب، قال: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم:11]، أي:-سبحان الله سبحان الخلاق العظيم- ثم تأتي البشارة بيحيى وكيف آتاه الحكم صبيا، فقال تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا(12) وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم:12-13]، والباء في (بقوة) للملابسة أي: ملتبساً بحفظ الكتاب وتنفيذ أحكامه بشدةٍ وثبات، فأعطاه الله الحنان والزكاة والتقى، فعطف بعدها ببره بوالديه على كونه تقيا للدلالة على تمكنه من هذه الصفات، قال تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: 14]، فختمت القصة بإكرام الله ليحيى بأن أعطاه السلام في أحواله الثلاثة، حيث قال تعالى: ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: 15]، دلالة على العناية الإلهية[3].

---

(1) ينظر: المصدر نفسه؛ وينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، **الدر المنثور**، (بيروت، دار الفكر)، ج5، ص479.

(2) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج16، ص70.

(3) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج16، ص7، 77؛ والألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج11، ص452-457.

المطلب الثاني: أوجه التناسب والترتيب بين الآيات في قصة سيدتنا مريم وابنها عيسى –عليهما السلام-.

قال ابن كثير: لما ذكر تعالى قصة زكريا -عليه السلام- وأنه أوجد منه، في حال كبره وعقم زوجته، ولدًا مباركًا زكيًّا طاهرًا، من المناسبة أن يذكر بعدها قصة مريم وولدها عيسى –عليهما السلام- في إيجاده منها من غير أب، فإن بين القصتين تقارب وتشابه في المعنى، دلالة على قدرة الله وعظمته، وأنه على كل شيء قدير، حيث قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [مريم: 16] [(1)].

وفي التعبير بقوله تعالى: ﴿إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ إشارة إلى ما يأتيها من الروح الإلهي، والنبذ بمعناه الرمي والطرح، لكي تعبد الله وتتقرب اليه بأعمالها الصالحة، ثم بين إكرام الله لها في حال عزلتها، فقال تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: 17]، والإضافة في قوله ﴿رُوحَنَا﴾ للتشريف والتكريم[(2)].

ثم قال -سبحانه وتعالى- عن ذلك الحوار والنقاش الذي دار بين مريم وجبريل –عليهما السلام- فقال: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: 18]، أي: قالت لجبريل -عليه السلام- إني ألتجئ إلى الرحمن منك، إن كنت ممن يتقى الله ويخشاه، وخصت الرحمن بالذكر، لتثير مشاعر التقوى في نفسه، لان من طبيعة الإنسان التقي أن ينتفض وجدانه عند ذكر الرحمن، وأن يرجع عن كل سوء يخطر بباله، وبهذا القول تكون مريم قد جمعت بين الاعتصام بربها، وبين تخويف من تخاطبه وترهيبه من عذاب الله. وبقولها هذا، يدل على أن مريم قد بلغت أسمى درجات العفة والطهر والبعد عن الريبة، وهنا يجيبها جبريل –عليه السلام- كما جاء في القرآن، بقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم: 19]، وبهذا قد دخلت السكينة والطمأنينة على قلب مريم، وبشرها بالولد الطاهر من الذنوب والمعاصي، وهنا تزداد حيرة مريم، فتقول: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: 20]، ويشتد عجبها من قول جبريل –عليه السلام- [(3)].

ثم تأتي القدرة الإلهية بقوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: 21]، دلالة واضحة ومعجزة على وجود الغلام منك من غير اب، كما خلق آدم من غير ام واب، وخلقت حواء من غير أم، وخلق سائر البشر من أم

(1) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط2، ج5، ص 219.
(2) ينظر: سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط**، ص2769؛ والبقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج12، ص183.
(3) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط2، ج5، ص220؛ والسمرقندي، **البحر العلوم**، ج3، ص70.

وأب، ناسب القول بأن الأمر كان مقضيا لابد منه، فأذعنت لأمر ربها: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ [مريم: 22]، فالارتباط بين قصيا وجذع النخلة هي للتواري عن الأنظار بقولها: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾ [مريم: 23]، فأصابها من الهم والحزن ما أصابها فتمنت الموت ليس لهذا الامر وانما حياءً من قومها، وخوفاً عليهم من الوقوع في المعصية باتهامهم لها[1].

ثم يأتي اكرام الله لها فيقول تعالى: ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: 24]، فجاءت المعجزة،: فناداها عيسى –عليه السلام – من تحتها فأدخلت الطمأنينة والسكينة على قلب مريم، فقال: (أَلاَّ تَحْزَنِي)، والجلمة الكريمة تعليل لانتفاء الحزن المفهوم من النهى بقوله: (أَلاَّ تَحْزَنِي) تشريفاً لها وتأكيد التعليل وتكميل التسلية، ثم عطف عليها بقوله: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (25) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [مريم:25-26]، والباء في قوله (بجذع) زيادة في التوكيد، لأن فعل الهز يتعدى بنفسه، ولفظ (إِمَّا) مركب من (إن) الشرطية، و (ما) المزيدة لتوكيد الشرط، وبهذه الزيادة تظهر لنا بلاغة القرآن وتناسب الآيات [2].

وبذلك نرى أن هذه الآيات الكريمة قد تكلمت لنا بأسلوبها البليغ عن الأحداث التي مرت بها مريم من الحمل والولادة، وما قاله لها عيسى من كلام طيب، اشتد قلبها، وزال حزنها.

ثم انتقلت السورة الكريمة إلى عجيبة أخرى من عجائبها التي لا تنتهي، الا وهي مريم تحمل طفلاً بين يديها، قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ [مريم: 27]، والباء جاءت للمصاحبة، وجملة ﴿تَحْمِلُهُ﴾ في موضع الحال من ضمير مريم، لأن حالها في إتيان الولد يقتضي الإنكار، قالوا: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: 28]، استئناف لتجديد التعيير، وتأكيد التوبيخ، وهنا تأتي المعجزة جواباً على ما اتهموها به، قال تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: 29]، أي: عيسى –عليه السلام- والتعبير ب (كان) يدل على أنه حين الإشارة إليه لم يحوجهم إلى أن يكلموه، بل حين سمع المحادثة وتمت الإشارة بدا منه قوله مؤكداً لإنكارهم أمره فقال: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) ... وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾

(1) ينظر: سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط** ص2772؛
(2) ينظر: الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج11، ص475-476؛ وسيد طنطاوي، **التفسير الوسيط**، 2775.

[مريم: 30-33]، فنلاحظ أن عيسى -عليه السلام- قد وصف نفسه بمجموعة من الصفات الفضيلة، افتتحها بصفة العبودية لله رب العالمين، لإرشاد الناس إلى تلك الحقيقة وهي أعلى المراتب، ولتحذير أعدائه فليس هو إلهاً، ولا ابن إله، ولا ثالث ثلاثة كما يزعم النصارى، واختتمها برجاء الأمان له من الله -تعالى- في كل مراحل حياته، ثم ختم –سبحانه وتعالى- هذه القصة ببيان وجه الحق فيها، وأنذر الذين وصفوا عيسى وأمه بما هما بريئان منه بسوء المصير، فقال تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم: 34] [(1)].

ثم نزه -سبحانه- ذاته عن أن يكون له ولد فقال: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [مريم: 35]، أشار إلى ذلك بالتنزيه العام بقوله:﴿ سبحانه﴾، و (مِن) في قوله ﴿ مِن وَلَدٍ ﴾ لتأكيد هذا النفي وتعميمه، ثم بين -سبحانه- ما يدل على غناه عن الولد والشريك فقال: ﴿إِذَا قضى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾، ولما ذكر عيسى -عليه والسلام- بأنه عبد الله ورسوله، عطف عليه ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [مريم: 36]، ثم بين - سبحانه- موقف أهل الكتاب من عيسى -عليه السلام- فقال: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريم: 37]، أي: أصبحوا أحزاباً متفرقين مختلفين في أمر عيسى –عليه السلام- فجاء التعبير في قوله: ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ بالتنكير، للتهويل من شأن هذا المشهد، وقوله تعالى ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [مريم: 38]، تهكم بهم، وتوعد لهم بالعذاب الشديد، فهو تأكيد لما قبله، فناسبت الآية التي بعدها، بقوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: 39]، والإنذار هنا للترهيب والتحذير، لأنهم يحتاجون إلى الإنذار وهى الغفلة وعدم الإيمان، ثم ساق -سبحانه- ما يدل على كمال قدرته، وشمول ملكه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم: 40][(2)].

وهنا تكون السورة قد حدثتنا عن قصة زكريا ويحيى، وعن قصة مريم وعيسى –عليهما السلام-، حديثاً يهدي إلى الرشد، ويزيد المؤمنين إيماناً على إيمانهم.

---

(1) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج12، ص192-196 وسيد طنطاوي، **التفسير الوسيط**، ص2778؛ والألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج11، ص475-476.
(2) ينظر: المصدر نفسه، ج12، ص196-198؛ وسيد طنطاوي، **التفسير الوسيط**، ص2778؛

المطلب الثالث: أوجه التناسب والترتيب بين الآيات في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام- وأبيه.

ثم تنتقل بنا السورة الكريمة إلى مشهد آخر وهي قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- وما دار بينه وبين أبيه من حوار.

اختلف النصارى في شأن عيسى حتى عبدوه من دون الله فأعقبها بذكر عبدة الأوثان من قوم إبراهيم –عليه السلام- وهو من أولي العزم من الرسل، وكان -عليه السلام- مثل زكريا في منحة الولد على كبر سنه وعقم زوجه، أردف ذلك بقوله: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: 41]، استئناف مسوق لتعليل موجب الأمر في قوله: (واذكر) ثم بين -سبحانه وتعالى- حقيقة صدقه وإخلاصه لدعوة الحق[1]، فقال: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم:42]، فنادى إبراهيم أباه مستعطفا في كل جملة بقوله: (يا أبت) مستخدماً أسلوب الرفق واللين احتراماً له لاستمالة قلبه للحق، فقال: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43) ... يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم: 43-45]، وبهذا الأسلوب الجميل والأدب الرفيع مع ابيه كان جوابه مقابلاً لذلك، قال: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: 46]، والاستفهام للإنكار والتهديد وتقديم الخبر لشدة الإنكار والرغبة فيها، مصرحاً بالفظاظة والغلظة والتهديد والعناد والجهالة، وأضاف الآلهة الى نفسه تعظيماً لها، ثم يأتي جواب إبراهيم –عليه السلام- لأبيه بكلام جميل يليق بمقامه، حيث قال: ﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: 47]، ثم بين – سبحانه وتعالى- ما عزم عليه إبراهيم –عليه السلام- الاعتزال عن قومه، فقال: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (48)... وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: 48-50]، فوهب الله له اسحاق ولداً له ويعقوب ولداً لإسحاق وخصهما بالنبوة، ولما ذكر تعالى إبراهيم الخليل وأثنى عليه بصفات حميدة عطف بذكر الكليم موسى –عليه السلام- جُمع له بين الوصفين وكان رسولاً نبيا، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (51) وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: 51-52]، والتقريب هنا للتشريف والتكريم، ثم وهبه الله رحمة منه أن جعل أخاه هارون نبياً، قال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: 53]، ثم ذكر -سبحانه وتعالى- إسماعيل بن إبراهيم –عليهما السلام-

(1) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج21، ص541؛ والبقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج12، ص203؛ وسيد طنطاوي، **التفسير الوسيط**، ص2782.

ووصفه بالرسالة زيادة على وصف أخيه إسحاق -عليهما السلام- وتقدم الوصف بالرسالة والنبوة في أمر موسى -عليه السلام- فناسب أن يذكر بعدها قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (54) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: 54-55]، وذكر الصلاة والزكاة التي أوصى الله بها جميع الأنبياء، وقد ذكرت في سياق الآيات على لسان عيسى –عليه السلام-[1].

ثم أردف الكلام عن ادريس -عليه السلام- بعد إن ذكر –سبحانه- إسماعيل -عليه السلام- فقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (56) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: 56-57]، ووجه التناسب بينهما أن إسماعيل وإدريس -عليهما السلام- اجتمعا في البيان بالعلم واللسان، فإسماعيل -عليه السلام- أول من أجاد البيان باللسان، وإدريس -عليه السلام- أول من أعرب الخطاب بالكتاب[2].

لما ذكر الله –سبحانه- قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام- وما أكرمه ووهبه، وبعض الأنبياء بعده بما خصهم به، أردف ذلك بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: 58]، وبهذا الكلام خص الأنبياء بهذه الوظائف العالية والمراتب الجليلة، من المناسبة أن يتبع ذلك بقوله: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: 59]، ولما أخبر تعالى عنهم بالخيبة، فتح لهم باب التوبة للتائبين رحمة بهم فقال: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [مريم: 60]، ثم بين –سبحانه- لهم صفات الجنة مؤكداً هذا الوعد بقوله: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا(61) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: 61-62]، ثم ذكر -سبحانه- لتعظيم شأن الجنة وتعيين أهلها، فقال: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: 63][3].

بعد إن ذكر الله -سبحانه وتعالى- قصص الأنبياء - عليهم السلام – وأنعم عليهم بحمل الرسالة وما نشأ بعدهم من المناسبة أن يذكر بأن جبريل هو صاحب وحيهم الذي ينزل به عليهم،

---

(1) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج12، ص204-214؛ سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط** ص2782-2786.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ج12، ص219.

(3) ينظر: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (ت: 708هـ)، **البرهان في تناسب سور القرآن**، تحقيق: محمد شعباني، (المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1410هـ - 1990م)، ص252؛ والبقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج12، ص226؛ وإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (ت: 1127هـ)، **روح البيان**، (بيروت، دار الفكر)، ج5، ص346.

وذكر أنه لا ينزل في زمان دون زمان وإن نزوله ليس باختياره، وليس وفقاً لإرادته ومشيئته، وإنما بأمر من الحق جل جلاله، قال تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا(64) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:64-65]، أي: استحالة النسيان والغفلة، والفاء في قوله: (فاعبده) جاءت لترتيب ما بعدها على ما قبلها[1].

المطلب الرابع: أوجه التناسب الترتيب بين الآيات التي تحدثت عن رد الشبهات التي يثيرها منكرو البعث والنشور.

أمر الله سبحانه وتعالى عباده بالعبادة والصبر عليها، بين فائدة ذلك بأنها تنجيهم يوم العرض، وهو يوم لا شك فيه ولا وجه لإنكاره، وإبطال عقيدة الإشراك به ناسب الانتقال إلى إبطال أثر من آثار الشرك، فالواو عاطفة قصة على قصة، وجاء بالفعل المضارع للتعجيب من قائله تعجيب إنكار، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَ إِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (66) أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: 66-67]، والاستفهام للإنكار والنفي، وعبر بصيغة المضارع (يَقُولُ) لاستحضار أقوالهم المنكرة للبعث، فالآية ترد على كل جاحد للبعث، ثم أردفها بقسم منه –سبحانه وتعالى- على وقوع البعث والنشور، فقال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ والشياطين ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً﴾ [مريم: 68]، جاء بنون العظمة لما كان الإنكار للبعث يلزم منه الاحتقار، وهذا تصوير حسي بليغ لسوء مصيرهم، ثم يخص –سبحانه وتعالى- المتكبرين من الكافرين فيقول: ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا (69) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا﴾ [مريم:69-70]، ولما كانوا بهذا الإعلام، المؤكد بالإقسام، من ذي الجلال والإكرام، جديرين بإصغاء الأفهام، إلى ما يوجه إليها من الكلام، التفت إلى مقام الخطاب، إفهاماً للعموم فقال: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: 71]،أي: داخلوها، وبما أنه لابد منها أكده غاية التأكيد فأتى بأداة الوجوب فقال: ﴿عَلَى رَبِّكَ﴾ ويضاف إلى ذلك، قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم:72][2].

---

(1) ينظر: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت: 1224هـ)، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، (القاهرة، الدكتور حسن عباس زكي، 1419 هـ)، ج3، ص349.

(2) ينظر: المراغي، **تفسير المراغي**، ج16، ص73؛ وسيد طنطاوي، **التفسير الوسيط** ص2794-2796؛ والبقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج12، ص233-234؛ وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج16، ص145.

ثم جاءت السورة بعد ذلك وصفاً لما قاله الكافرون للمؤمنين على سبيل التباهي والتفاخر، بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم:73]، وقد رد –سبحانه- بما يناسب هؤلاء المتباهين الجاحدين بقوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا (74) قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ [مريم: 74-75]، ولما كان هذا الاستدراج زيادة في الضلال، عطف عليها بقوله: ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ [مريم: 76]، وأشار باسم العلم لتجليه لجميع صفات العلى ليعرفوه حق المعرفة، وبذلك بينت الآيات الكريمة رداً على المتباهين بدنياهم وأخر ألسنتهم[1].

ثم حكت لنا السورة الكريمة بعد ذلك لونا آخر من ألوان تعنتهم، وكلامهم الباطل، أجابت عليها بأسلوب عقلاني فقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم: 77]، والاستفهام لتعجب من هذا الكافر الجهول، والفاء للعطف على ما أرشد إليه السياق فقال معبراً عن طلب الخير بالرؤية التي هي الطريق إلى الإلمام بالأشياء علماً ومعرفة، والتقدير: أنظرت أيها العاقل فرأيت هذا الكافر الضال الذى كفر بآياتنا الدالة على وحدانيتنا، فرد الله على هذا الجاحد رداً عظيماً فقال: ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: 78]، والاستفهام للإنكار والنفي لكلا الامرين، وهو إطلاع الغيب واتخاذ العهد، من المناسبة ان يقول: ﴿ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (79) وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم: 79-80]، ولما أخبر سبحانه بالبعث، وذكر الكافر وصفه بالذل، أردف حال المشركين مع عبادتهم للأوثان، فقال متعجباً منهم عاطفاً على قوله ويقول الإنسان: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ [مريم:81]، أي الكفار، وذا سئلوا عن سبب عبادتهم للأوثان التي لا تنفع ولا تضر قالوا لتقربنا الى الله، فرد الله عليهم بما يزجرهم عن ظنهم، فقال: ﴿ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ (مريم: 82]، وجاءت (كلا) للردع والزجر عن افعالهم الباطلة، ثم بين –سبحانه وتعالى- أن الكافرين قد استولى عليهم الشيطان فزادهم كفرا على كفرهم، فقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: 83]، والاستفهام للتقرير والتأكد، ولما كان الأمر

(1) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج12، ص238-241؛ وسيد طنطاوي، **التفسير الوسيط** ص2798-2801.

كذلك، فلا تتعجل وقوع العذاب، لان الله –سبحانه- قد حدد وقتا لنزوله، حيث قال: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: 84][1].

ثم ذكر –تعالى- حال المتقين، وعاقبة المجرمين يوم القيامة فقال: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (85) ... إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: 85-87]، وهذا ما يدل على إكرام الله لأوليائه، وأردف بعدها ما يدل على إهانة الله لأعدائه، وذكر الرحمن اولاً دليلاً على المنتقم ثانياً، لان الحال يتناسب مع المقام، ولما أبطل الشفعاء، وكانوا قد ادعوا له ولداً، أبطل دعواهم فقال عاطفاً على قوله: (واتخذوا من دون اللَّه) موجباً منهم: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ [مريم: 88]، وهذا القول الباطل يشمل كل من نطق بهذا القول، سواء أكان من اليهود أم من النصارى أم من المشركين، ثم تابع الالتفات إلى خطابهم بأشد الإنكار، إيحاءً إلى تناهي الغضب فقال: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ [مريم: 89]، توبيخ وتقريع من الله –سبحانه- لهم على هذا القول المنكر، ثم بين ثقله بقوله: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم: 90]، ونفى عن نفسه –تعالى – الولد ، بقوله: ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (91) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم:92]، لأن الولد يتطلب الجنسية والحدوث، والله جلت قدرته وعظمته عن ذلك، ثم جاء بالدليل على غناه، بقوله: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: 93]، ولما كان من المستحيل معرفة الخلائق كلهم، أكد –سبحانه وتعالى- ذلك بقوله: ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (94) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: 94-95]، وبذلك تكون الآيات قد ردت بأبلغ رد على أولئك الضالين الذين افتروا أن لله ولداً، ولما عم بهذا الحكم الطائع والعاصي، استأنف الجواب لذلك مبشراً لهم بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: 96]، تصديقاً لإيمانهم، فأخبر كلاً من الفريقين بالبشارة والنذارة، قال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [مريم:97]، عطف عليها ما يرشد إليه السياق بقوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم: 98]، أي: بما لنا من العظمة، وبهذا ختمت السورة الكريمة بما افتتحت به من الرحمة لأوليائه، والمحبة لأصفيائه، بعد الرحمة لكلا للفريقين من البشارة والنذارة فحلت الرحمة على أوليائه، وانجلت عن أعدائه،[2] والله أعلم.

---

(1) ينظر: المصدر السابق، ج12، ص245-241؛ وسيد طنطاوي، **التفسير الوسيط**، ص2802-2804.
(2) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج12، ص 242-254؛ والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ط3، ج11، ص158-15؛ وسيد طنطاوي، **التفسير الوسيط**، ص2799- 2809.

وبعد هذا الاستطراد الذي طال قليلا من الصعوبة بمكان أن نفصل الآية عن أختها، فهو كلام مترابط يشد بعضه بعضاً، وأن التناسب واضح عند إمعان النظر، والتعمق فيها نجد أن آياتها كلها مترابطة بينها وبين سابقتها ولاحقتها وكأنه عقد منتظم.

المبحث الثالث

التناسب والترتيب بين فواصل السورة ومقاطعها

المطلب الأول: التناسب والترتيب بين فواصل السورة.

أولا: تعريف الفاصلة لغة واصطلاحاً.

لغة: الفاصلة من الفعل (فصل) وجمعها (فواصل)، مؤنث (الفاصل) وهي الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في العقد ونحوه، و (الفصل): الحاجز بين الشيئين فصل بينهما يفصل فصلا فانفصل وفصلت الشيء فانصل أي قطعته فانقطع و (الفصل): أي القضاء بين الحق والباطل[1].

اصطلاحاً: "الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع. وقال الداني[2]: كلمة آخر الجملة"[3].

وقال القاضي أبو بكر[4]: "الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني...وفرق الداني بين الفواصل ورؤوس الآي فقال: الفاصلة هي الكلام المنفصل عما بعده، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس، وكذلك الفواصل يكن رؤوس آية وغيرها، وكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة رأس آية"[5].

---

(1) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ط1، ج11، ص521.
(2) هو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي مولاهم القرطبي الإمام العلم المعروف في زمانه بابن الصيرفي وفي زماننا بأبي عمرو الداني لنزوله بدانية ولد سنة إحدى وسبعين وثلاث مئة قال وابتدأت بطلب العلم في سنة ست وثمانين وثلاث مئة، وبرز في الحديث والقراءات والفقه والتفسير وسائر أنواع العلوم، توفي رحمه الله سنة أربع وأربعين وأربع مئة. ينظر: الذهبي، **معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار**، ط1، ص226.
(3) الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج1، ص53.
(4) تم ذكر الترجمة سابقاً.
(5) المصدر نفسه، ج1، ص53.

الفاصلة القرآنية من حيث المعنى:

قال السامرائي: "لا يراد بالفاصلة القرآنية مراعاة الحروف وإنما يراد المعنى قبل ذلك ويلتقي الحرف بالمشابهة اللفظية مع المعنى. وأحياناً لا يراعي القرآن الكريم الفاصلة بل قد تأتي مغايرة عن غيرها وهذا دليل على أن المقصود بالدرجة الأولى هو المعنى"[1].

الفواصل القرآنية في سورة مريم: تنقسم الفواصل في سورة مريم الى:

1- فواصل متماثلة: هي التي تبلغ درجة التماثل في الوزن وحرف الرّوي، نحو قوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (2) ... وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: 2-4]، وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا (77) ... وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم: 77-80]، ونلاحظ ان معظم آيات هذه السورة حافلة بهذا القسم من الفواصل.

2- فواصل متقاربة او متوازنة: هي التي تتفق في الوزن دون حرف الرّوي، مثل قوله تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (37) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [مريم: 37-38].

علاقة الفواصل القرآنية بسياقها من خلال سورة مريم:

ومن خلال الوقوف على آيات السورة يتبين أن الفاصلة القرآنية تأتي في مكانها المناسب، ولا تخرج عن أحد الأمور الآتية:

1-التمكين:

أن تأتي الفاصلة متمكنة في مكانها[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم: 34]، في غاية الحسن في هذا الموضع، وذلك لأن ما سبق مشاهد من حمل عيسى –عليه السلام– وولادته وكلامه ورسالته، ليعقب بالغرض المقصود في أنسب موضع من السياق، بلهجة التقرير، وإيقاع التقرير، ذلك عيسى ابن مريم، ذلك هو في حقيقته، وذلك واقع شأنه[3].

2- التصدير: هو أن يكون لفظ الفاصلة تقدم في الآية، وهو ما يسمى رد العجز على الصدر ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: 94]، فالإحصاء هو الحصر والضبط، يعني حصرهم بعلمه وأحاط بهم[4].

---

(1) السامرائي، **لمسات بيانية**، ص538.
(2) ينظر: الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج1، ص96.
(3) ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج4، ص2300.
(4) ينظر: السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج1، ص351. والرازي، **مفاتيح الغيب**، ط3، ج21، ص567.

وكذا قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: 3]، جاءت الفاصلة تصدير للآية (نادى، نداء)، وقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: 5]، ابتدأت الآية (بالموالي) وجاءت الفاصلة (وليا)، وقوله تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: 6]، جاءت الفاصلة (سميا) تصديرا للآية (اسمه، سميا).

اختيار الفواصل في سورة مريم:

تعد الفواصل في القرآن الكريم من أساليب البلاغة الجميلة، وتراكيبه المبدعة، وهي رؤوس آياته، فالفواصل كلمات تتماثل في أواخر حروفها أو تتقارب صيغ النطق بها[1].

وللفواصل دلالتها على المقاطع، وتعمل على تحسين الكلام، وتترابط مع ما قبلها من الكلام ارتباطاً وثيقاً، ولو أسقطت أو غيرت لاختل المعنى، لذلك لو تتبعنا سور القرآن الكريم لوجدنا أنّ منها سوراً جاءت فواصلها كلها على حرف واحد، ومن ذلك سورة الكوثر، فإن فواصلها جاءت على حرف الراء، وكذلك سورة الإخلاص جاءت على حرف الدال، وقد يأتي في السورة الواحدة أكثر من فاصلة، مثل سورة مريم؛ فإنّ فواصلها جاءت على حروف مختلفة بحيث مشت الفاصلة من أول السورة إلى غاية قوله تعالى: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: 33]، على نمط واحد وهو الألف، ويغلب على هذا المقطع مشاعر الرحمة واللطف الإلهي التي تبعث في النفس الأمل والانشراح وبذلك تستشعر أن للسورة إيقاعا موسيقيا خاصا، حتى جرس أللفظ والفاصلة فيه رخاء وفيه عمق: نبيا، سويا، عصيا، رضيا، سريا، حفيا، نجيا[2].

ثم نجدها في موضع آخر تتغير، حيث جاءت الفاصلة على حرفي الميم والنون في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34) ... إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم: 34-40]، لتعود الفاصلة من جديد حرف الألف من قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: 41]، الى قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا﴾ [مريم: 74]، ثم تجيء الفاصلة بعدها بمواضع فيها من الشد والعنف، في سياق ذكر المكذبين والوعيد، مثل فاصلة الدال المشددة، مدا، ضدا، إدا، هدا، أو الزاي المشددة: عزا، أزا، في قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (81) ... أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: 81-83]، ويتبين أن السورة أغلبها

(1) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج1، ص75.
(2) ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج5، ص87.

بنيت على حرفين هما الألف والدال ليعطي إيقاعاً موسيقيًا، فتنوع الايقاع الموسيقي والفاصلة والقافية بتنوع الجو والموضوع يبدو واضحا في هذه السورة فهي تبدأ بقصة زكريا ويحيى –عليهما السلام-، فتسير الفاصلة والقافية على وتيرة واحدة، وتتبعها قصة مريم وعيسى –عليهما السلام-لتسير الفاصلة والقافية على نفس النظام، الى أن تنتهي القصص، ويجيء التعقيب، لبيان حقيقة عيسى ابن مريم، فيختلف نظام الفواصل والقوافي، تطيل الفاصلة، وتنتهي القافية بحرف الميم أو النون المستقر الساكن عند الوقف لا بالياء الممدودة الرخية، نحو قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [مريم: 34-35]، حتى إذا انتهى التقرير والفصل ورجع السياق إلى القصص رجعت القافية الرخية المديدة: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (41) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: 41-42]، حتى إذا جاء ذكر المكذبين وما ينتظرهم من عذاب وانتقام، يتبدل الإيقاع الموسيقي وجرس القافية: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ [مريم: 75]، وفي موضع الانكار يشتد الجرس والنغم بتشديد الدال، فقال: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88)... وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم: 88-90]، وهكذا يسير الإيقاع الموسيقي في السورة وفق المعنى والجو؛ ويساهم في إبقاء الظل الذي يتناسق مع المعنى في سياق السورة، وفق انتقالات السياق من جو إلى جو ومن معنى إلى آخر[1].

المطلب الثاني: التناسب والترتيب بين مقاطع السورة.

لسورة مريم أربعة مقاطع، ومن أجمل صور التناسب والترتيب نلاحظها بين مقاطع هذه السورة، فكل مقطع يتناسب مع ما يله، ومن هذه المناسبات ما يلي:

المقطع الأول: قصة سيدنا زكريا وابنه يحيى –عليهما السلام– قال تعالى: ﴿كهيعص (1) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (2) ... وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (15)﴾ [مريم:1-15].

يتحدث هذا المقطع عن قصة سيدنا زكريا وولده يحيى –عليهما السلام– ونرى من خلال النظر فيها خفض جناح الذل المتناسب مع جو الدعاء الذي في السورة، وطلب الرحمة،

(1) ينظر: المصدر السابق، ج5، ص87– 88.

والخضوع لله ولأوامره، فهو يتحدث عن ولادة يحيى –عليه السلام– من شيخ كبير وأم عاقر، ومن ثم أعقب الخبر بإيتاء يحيى –عليه السلام– النبوة في حال صباه[1].

المقطع الثاني: قصة سيدتنا مريم وابنها عيسى –عليهما السلام– ومحاجة النصارى، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) ... إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم: 16-40].

بعد أن ذكر الله -سبحانه وتعالى- قصة زكريا –عليه السلام- وكيف أصلح له زوجه، واستجاب له دعاءه، بأن رزقه ولداً زكياً مباركاً وهو بهذا العمر وامرأته عاقر، أردف ذلك بذكر قصة مريم –عليها السلام– بأن رزقها ولداً من غير أب، فمن خلال التمعن والنظر ما بين القصتين ستظهر المناسبة واضحة، ألا وهي: أن الله -سبحانه وتعالى- ابتدأ بقصة يحيى وإنه قد خلق من شيخين فانيين أقرب إلى الواقع ومناهج العادات وأكثر استيعاباً من خلق الولد من غير أب، ثم إنه أردف قصة عيسى بعد قصة يحيى لأنها أعجب من تلك، ومن روائع طرق التفهيم والتعليم التدرج بالانتقال من الأسهل الى الأصعب ومن الأقرب منالاً إلى الأبعد منه، وهكذا صعوداً[2].

المقطع الثالث: ثانياً: قصة سيدنا إبراهيم والأنبياء الأخر –عليهم السلام– قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (41) ... رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:41-65].

ولما تعهد ما تقدم من هذه السورة بنفي الشريك لكونه ولداً، أردف ذلك من قصته ما ينفي الشريك ليقتدي به أولاده في ذلك إذ كانوا يماثلون الآباء، وليس في آبائهم مثله، أردف بعدها قصة سيدنا موسى– عليه السلام – لاشتراكهما في إخلاص العبودية لله والابتعاد عن الشرك والرياء[3]، "وبعد أن أفرد الله كل رسول من رسله العشرة –زكريا ويحيى وعيسى وإبراهيم وموسى وهارون وإسماعيل وإدريس وآدم ونوح ويعقوب، عليهم السلام- الذين سبق ذكرهم بالثناء على كل منهم بما هو جدير به، أردفه بذكر بعض ما جازاهم به من النعم، فقد هداهم الى سبيل الخير واصطفاهم من سائر خلقه"[4].

(1) ينظر: الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ط3، ج16، ص55.
(2) ينظر: المراغي، **تفسير المراغي**، ج16، ص40؛ والحنبلي، **اللباب في علوم الكتاب**، ط1، ج13، ص31.
(3) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج12، ص204.
(4) المراغي، **تفسير المراغي**، ج16، ص65.

بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى قصص الأنبياء -عليهم السلام- وما أنعم عليهم بحمل الرسالة وما نشأ بعدهم، وذكر جزاء الفريقين، من المناسبة أن يذكر بأن جبريل هو صاحب وحيهم الذي ينزل به عليهم، وذكر أنه لا ينزل في زمان دون زمان وإن نزوله ليس باختياره، وليس وفقاً لإرادته ومشيئته. وإنما بأمر من الحق جل جلاله[1].

المقطع الرابع: شبهات في البعث، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (66) ... هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا (98)﴾ [مريم: 66-98].

بعد أن ذكر الله قصص الأنبياء وما يثبت عقيدة التوحيد، وإخلاص العبودية لله والابتعاد عن الشرك والرياء، والصبر على العبادة، لان فيها من المشقة والشدائد، بين فائدة ذلك وهى أنها تنجيهم يوم العرض يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وهو يوم لا شك فيه ولا وجه لإنكاره، فإن إعادة الإنسان إلى الحياة أهون من إيجاده من العدم، ثم ذكر حال الكافرين وما يجدونه يوم القيامة من الذل والهوان، ثم أتبع ذلك ببيان أن جميع الخلائق ترد على النار ولا ينجو منها إلا من اتقى ربه وأخلص في عمله[2]. وبعد أن ردّ على عبدة الأوثان، وأنهم عن الحق معرضون، وأثبت لهم أنهم في ضلالهم يتيهون، عاد إلى الرد على من أثبت له الولد كاليهود الذين قالوا عزير ابن الله، والنصارى الذين قالوا المسيح ابن الله، والمشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا، وبين لهم شناعة قولهم وأثر ذلك على الكون عامة[3].

بعد أن ذكر الله تعالى أحوال الكافرين في الدنيا والآخرة، والرد عليهم، ختم السورة بذكر أحوال المؤمنين، وبين سبحانه أنه سيغرز المودة في قلوب عباده، والسين في سيجعل تدل على أن السورة مكية دلالة على التوحيد والنبوة والحشر ورد فيها على فرق المبطلين بين أنه يسر ذلك بلسان نبيه صلّى الله عليه وسلّم ليبشر به المتقين، وينذر به المخالفين الذين تمسكوا بالباطل وجادلوا فيه، ثم ختم السورة بالعبرة و الموعظة البليغة قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم: 98][4].

(1) ينظر: ابن عجيبة، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، ج3، ص349.
(2) ينظر: المراغي، **تفسير المراغي**، ج16، ص73. وسيد طنطاوي، **التفسير الوسيط** ص2794.
(3) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج10، ص344. والمراغي، **تفسير المراغي**، ج16، ص86.
(4) ينظر: المصدر نفسه، ج10، ص 346– 347.

الفصل الثالث

أثر التناسب والترتيب في سورة مريم في الكشف عن وجوه الإعجاز

المبحث الأول

أثر التناسب والترتيب في الكشف عن وجوه الإعجاز اللغوي.

المطلب الأول: التناسب والترتيب في الأساليب اللفظية وأثره في الإعجاز.

إن أثر التناسب والترتيب يتجلى في الألفاظ والأساليب اللغوية والتعبيرية معاً، لتقدم لنا قيمة التحدي والإعجاز في الأثر الجمالي والفني في نفس المتلقي.

والقرآن الكريم يحقق بأسلوبه المتنوع وتعبيره اللغوي المتعدد التلاؤم والتناسق حيث يعطي جمالاً يفضي إلى النفس. ومن هذه الألفاظ:

أولاً: دلالة الألفاظ ودورها في الإعجاز.

1- الدقة في اختيار الألفاظ ودلالاتها:

إن للألفاظ دلالاتها الخاصة التي تنسجم مع السياق انسجاماً تاماً، بحيث لو غيرت مكانها لاختل المعنى.

يقول الجرجاني: "وهل تجد أحداً يقول: هذه اللفظة فصيحة، إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملائمة معناها لمعنى جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها"[1].

ولهذا سأتناول بعض الألفاظ اللغوية التي تسهم في ترابط وتناسق ألفاظ السورة.

- نجد في قصة زكريا –عليه السلام- لفظة (نداء) في قوله تعالى:﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم:3]، بدلاً من (دعاء) ففيها من الدلالات ما فيها؛ لأن النداء معناه رفع الصوت بطلب الإقبال، ولذلك سميت حروف الطلب بحروف النداء، وكلمة الدعاء تدل على طلب الحاجة وهو الجهر فيها، كما أن الدعاء له معانٍ عديدة ومختلفة، أما النداء تقتصر معانيه في رفع الصوت بطلب الأمر، وجاءت في هذه الآية بخفض الصوت إخلاصاً لله وتجنباً للرياء، وغالباً ما

(1) أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، تحقيق: د.محمد التنجي، (بيروت، دار الكتاب العربي، 1995،ط1)، ص16.

يكون النداء في الشدة والكرب، ولذلك ناسبت كلمة النداء الجو والظروف التي كان فيها سيدنا زكريا –عليه السلام-[1].

- لفظة (هب) في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: 5]، جاءت هذه اللفظة دون غيرها من الألفاظ ولم يقل (أعطني أو اجعل لي) نظراً لحال زكريا –عليه السلام- فلفظة الهبة أنسب لحاله بعدما انقطع رجاؤه في حصوله على الولد، ويزيد هذا اللفظ لفظ آخر وهو (لدنك) لتنفيذ عطاء الله الواسع، لأن الهبة عنديَّة خاصة من الله، وهذا إكرام له -عليه السلام- فناسب اللفظ المقام[2].

وكذلك جاء التعبير بـ (عَاقِرًا) أي (العقر) ولم يقل (عقم) دلالة على أنه قابل للعلاج، لان العقم لا يمكن علاجه اما العقر فيمكن علاجه[3].

- لفظة (عتياً) جاءت لبيان حال زكريا –عليه السلام- ودورها الفعال دون غيرها من الألفاظ المقاربة مثل: (شخت أو كبرت) قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم:8]، والعتي: مشتقة من الفعل عتا يعني المبالغة في الكبر أو شيب الرأس، ومن معانيها التمرد والخروج عن السيطرة، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ [مريم:69]، ولا توجد حالة أكثر من حالة الهرم وخروجه عن السيطرة، ولو تُرك الأمر له لما شاخ ولا هرم، ولكن الله يفعل ما يريد، وهذا ما دل عليه السياق[4].

2- الترادف بين الألفاظ.

اختلف العلماء في ترادف الألفاظ في اللغة بين مؤيد ومنكر، أما في ألفاظ القرآن الكريم يتنافى وجود الترادف اللفظي، لأن كل لفظة قد اختيرت بما يناسبها في سياق الآية، ولا يمكن استبدال لفظة مكان أخرى كما اتضح لنا في الأمثلة السابقة.

---

(1) ينظر: ابن **عاشور، التحرير والتنوير**، ج16، ص62؛ والرازي، **مفاتيح الغيب**، ج21، ص507؛ والألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج11، ص438.
(2) ينظر: المصدر السابق، ج16، ص67؛ والآلوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني**، ج8، ص382.
(3) ينظر: علي بن نايف الشحود، **الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم**، ص265.
(4) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ط1، ج4، ص4؛ وابن منظور، **لسان العرب**، ط3، ج15، ص27.

وقال أبو زهرة: "لا مرادف في القرآن، ولا يوجد لفظان يؤديان معنى واحداً من حيث الإحكام والدقة، ولا يوجد أسلوب يؤديه الأسلوب الآخر"[1].

ويمكن توضيح هذا المعنى في بعض الأمثلة التالية:

- نأخذ لفظة (يبعث) في قوله تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم:15]، ولفظة (أخرجُ) في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ [مريم:66] فالأولى جاءت في قصة يحيى –عليه السلام-، وأما الثانية فجاءت على لسان منكري البعث والحشر، والبعث في أصل اللغة هو: "إثارة الشيء وتوجيهه، يقال: بَعَثْتُهُ فَانْبَعَثَ"[2]، وأما (أخرج) معناها الخروج من المقابر، وعند أهل اللغة هو: "برز من مقرّه أو حاله سواءً كان مقره داراً، أو بلداً، أو ثوباً"[3]، والخروج من المقابر ينكره الكافر واستخدمت هذه اللفظة بما يناسب إنكارهم لعدم إحياء العظام، أما (البعث) فهو النشور يوم القيامة، وهو أشمل، والخروج هو جزء من البعث، فالعلاقة ما بين البعث والخروج هي علاقة تضمين لا علاقة ترادف.

- لفظة (غلام وولد) ففي استعمال كلمة الولد نجدها الأنسب مع مريم عندما بشرها الملك بالمسيح (الكلمة) قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [مريم: 45]، والكلمة عامة، فإن مريم سألت بما هو أعم ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ [آل عمران: 47]، لأن الولد اعم من الغلام، والولد يقال للذكر والأنثى، وللمفرد والجمع، فناسب ذكر العموم العموم والخصوص الخصوص، وفي سورة مريم ذكر (الغلام)، فيقول: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم: 19]، قالت: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: 20]، في حين بشرها بالولد اجابت بالولد وحين بشرها بالغلام أجابت بالغلام، فناسب كل تعبير مكانه[4].

3- المشترك اللفظي:

يعني وجود لفظ واحد بعدة معانٍ مختلفة، مما يجعل للكلمات دلالة أكثر في سياق الألفاظ

وسأذكر بعض الأمثلة التي تدل على بلاغة القرآن وإعجازه:

---

(1) محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: 1394هـ)، **المعجزة الكبرى القرآن**، (الفكر العربي)، ص175.
(2) الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ط1، ص132.
(3) المصدر نفسه، ص278.
(4) ينظر: السامرائي، **أسئلة بيانية في القرآن الكريم**، ص247.

- لفظة (آية) فجاءت في سورة مريم مشتركة في الآيات (10-21-58) ففي قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم:10]، دلالة على الإخبار بالبشارة والعلامة على الحمل، وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم:21] بمعنى العلامة، دلالة على الإعجاز وعلى الأمر الحتمي، وفي قوله: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ مريم:58] وقوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ [مريم:73]، وقوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم:77]، بمعنى كلام الله الذي يزداد به المؤمن تفكراً وتدبراً[1].

- لفظة (دعا) جاءت في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم:4] بمعنى الطلب والإقبال على الله، دلالة على أنَّ دعاء الأنبياء لا يرد، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم:48]، دلالة على أن الدعاء لا يكون إلا لله سبحانه، وفي قوله تعالى: ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ [مريم:91]، دلالة الافتراء على الله[2].

- لفظة (خرّ) في قوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم:58]، دلالة على سجودهم لله سجود استجابة[3]، وفي قوله تعالى: ﴿وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم:90]، دلالة على انتقام الجبال وسقوطها على المفترين على الله[4].

3- التعريف والتنكير:

يعد أسلوب التعريف والتنكير من الأساليب اللغوية التي تؤدي فوائد بلاغية كثيرة تساعد على فهم السياق.

والتعريف: هو أن تأتي المعرفة بخلاف النكرة، فهي: "ما دلت على الشيء بعينه"[5].

- لفظة (النخلة) في قوله تعالى: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾ [مريم:23]، ويراد بها النخلة الواحدة الدالة على جنس النخل المفيد للنساء، وقد يراد بها تلك النخلة المعينة التي كانت تعرف عند الناس، دون غيرها من جذوع النخل، وبهذا ندرك القيمة البلاغية في سياق اللفظة، والحكمة من ذلك باختيار النخلة دون غيرها من الشجر مشابها لحال مريم –عليها السلام- لأن النخلة لا تثمر إلا بلقاح من ذكور النخل

(1) ينظر: الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج11، ص456.
(2) ينظر: الصابوني، **صفوة التفاسير**، ط1، ج2، ص194.
(3) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط2، ج5، ص242.
(4) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج12، ص248.
(5) يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (ت: 745هـ)، **الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، (بيروت، المكتبة العنصرية، 1423هـ، ط1)، ج2، ص8.

فأثمرت بمجرد الهز وفي وقت ليس بوقت نضوجها، وهو أقرب لحال إتيان مريم بولد من غير والد[1].

- التعريف بالعلم في بداية القصص المذكورة في السورة في قوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [مريم:2]، وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ [مريم:16]، وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [مريم:41]، وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى﴾ [مريم:51]، وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ﴾ [مريم:54]، وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾ [مريم:56]، نلاحظ ذكر الأنبياء واصطفائهم وتميزهم دون غيرهم على ما قدموه من الإخلاص في الدعوة إلى الله، فنالوا رضا الله ورحمته، كما لا نجد في قصص المعاندين والكافرين الذين لم تذكر أسماؤهم بل اتصلت بهم أل التعريف بلفظ الإنسان في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ [مريم:66]، دلالة على جمع الكفار لوجود قرينة دالة عليهم بقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم:68]، حيث أفادت أل التعريف الجنس، فهنا أطلق جنس الإنسان والمراد بعض أفراده، إذ لما كان هذا القول موجود في من هو من جنسهم، صح نسبته إلى جميعهم، فلفظة الإنسان أطلقت على العام وأريد بها الخاص أي جماعة معينة من الكفرة المنكرين للبعث[2].

- التعريف بالضمير في قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: 9]، فتستبدل الضمائر في مكان الكلمات الظاهرة، لما فيه من المزايا في اختصار الكلام وعدم تكريره، في قوله: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّن﴾، "الذي جاء إشارة إلى ما تقدم من وعده تعالى، أي قال: عز وجل الأمر كما وعدت، وهو واقع لا محالة"[3] ويفهم من ذلك أن أمر الله، إذا قدره وأراد فعله، فهو في حقه عز وجل واقع ليس بالأمر الصعب، بل قدرته تفوق كل شيء، وورد هذا السياق، حين أراد الحديث عن خلق عيسى –عليه السلام- من غير والد، فالأمر سهل على الله، فأغنى الضمير (هو) عن الكثير من الكلام.

---

(1) ينظر: الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، *ط3*، ج3، ص11؛ والآلوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني**، ج11، ص472.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ج3، ص31؛ والآلوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني**، ج12، ص32.

(3) أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج5، ص257.

5- الإفراد والجمع:

إن للجمع والإفراد في القرآن الكريم معانٍ دقيقة تتناسب مع سياق الألفاظ، مما تعطي أسلوباً بلاغياً يؤدي إلى الغرض الذي وضعت له.

ومن الأمثلة على ذلك:

أولاً: معاني الإفراد في السورة الكريمة.

-جاءت مفردة (العظم) في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم:4]، للدلالة على الجنس أطلق البعض وهو العظم الدال على الجنسية وأراد الكل(1).

-وجاءت مفردة (ضدا) في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم:82]، للدلالة على الوحدة والانسجام وكسب ما كانوا يتمنون ويطمعون في العون من هذه المعبودات ولكن سرعان ما انقلبت عليهم ضداً(2).

-وكذلك جاءت مفردة (ولداً) في قوله تعالى: ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ [مريم:91]، للدلالة على زيادة الإنكار رداً على اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله(3).

-ومن ثم جاءت مفردة (فرداً) في قوله تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم:95]، للدلالة على الوحدة ومجيئهم يوم القيامة فرادى أي كل واحد بلا مال ولا نصير كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام:94](4).

ثانياً: الكلمات التي أفادت الجمع في السورة:

- لفظة (إنا نبشرك- لم نجعل) في قوله تعالى: ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم:7]، جاءت بصيغة الجمع للدلالة على التفخيم والتعظيم(5).

- لفظة (آتيناه- لدنا)، في قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم:12]، وقوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا﴾ [مريم:13]، جاءت بصيغة الجمع، للدلالة على التفخيم والتعظيم، وسعة عطاء الله لعباده المؤمنين والتذكير بالمنعم قبل النعم(6).

---

(1) ينظر: الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج3، ص4.
(2) ينظر: المصدر نفسه، ج3، ص41.
(3) ينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج16، ص166.
(4) ينظر: سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط**، ص2808.
(5) ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج5، ص255.
(6) ينظر: المصدر نفسه، ج5، ص259.

- لفظة (آلهتي) في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ [مريم:46]، استخدم والد إبراهيم صيغة الجمع دلالة على تعدد الآلهة وليس إلهاً واحداً وهذا زيادة في التنكير[1].

- لفظة (عباده) في قوله تعالى: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ [مريم:61]، و (عبادنا) في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم:63]، جاءت كلمة العباد بصيغة الجمع للدلالة على المتقين، وهذا ما يتناسب مع سياق الآية تكريماً لهم[2].

ثانياً: الأساليب التعبيرية في سورة مريم.

إن الأساليب في القرآن الكريم لها جمالها البديع وكلامها المشرق، تثير في المتلقي صورة حقيقية يحس الإنسان بأطياف معانيها، وللأساليب دلالات وألفاظ متناسقة ولا يمكن تغييرها بحيث كل كلمة وضعت في موضعها المناسب لا تنفر من أختها، وكأنها نجوم في السماء[3]. ومن هذه الأساليب:

1- التقديم والتأخير:

يقول الإمام الزركشي -رحمه الله- "هو أحد أساليب البلاغة فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة وموهبتهم في الكلام وانقياده لهم وله في القلوب أحسن مقر وأعذب مذاق"[4].

وسأذكر بعض الأمثلة في سورة مريم.

- قال تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: 5] حيث قدم الجار والمجرور(لي) على المفعول (ولياً) لإظهار كمال الاعتناء و التشويق إلى المؤخر وتكون الهبة له على ذلك الوجه البديع، فإن ماحقه التقديم إذا أخر تبقى النفس متشوقة[5]، وإن ظاهرة التقديم والتأخير في سياق الآية، دالة على الاعتناء والاهتمام بالشيء المقدم عن المؤخر، ولفظة (من لدنك) أتت تأكيداً أن

(1) ينظر: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (مؤسسة الرسالة،1420هـ -2000 م، ط1)، ص494.
(2) ينظر: **عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: 465هـ)، تفسير القشيري**، تحقيق: **إبراهيم البسيوني، (مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3)**، ج4، ص451.
(3) ينظر: أبو زهرة، **المعجزة الكبرى**، ص93.
(4) الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ط1، ج3، ص233.
(5) أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج5، ص254.

هذه الهبة ليس بمقدور أي مخلوق، وإنما خاصة بالمولى عز وجل، فليست هبة عادية، وهذا حال القرآن في كثير من مواضعه.

- وفي قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [مريم:16]، وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم:41]، وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم:51]، وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم:54]، وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم:56]، جاء التقديم لبيان الأهمية حيث قدم الجار والمجرور (في الكتاب) على المفعول به لبيان أهمية كتاب الله القرآن؛ الذي به تهتدي الأمم في كل زمان ومكان، وكذلك تقديم (من أهلها) على (مكاناً شرقياً) للتخصيص، دلالة حرصها على العبادة لكي تتقرب إلى الله والابتعاد عن الناس[1].

- في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ مريم:19]، حيث تقدم الجار والمجرور في (لك) على المفعول (غلاماً) تشويقاً للسامع ويكون أوقع في النفس ببيان نعم الله على عباده المخلصين[2].

- في قوله تعالى: ﴿يَايَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم:12]، جاء التقديم هنا تقديم معنوي للتشويق، وهذا مشهد عظيم دلالة على علو مكانة يحيى –عليه السلام- واستجابة الله لزكريا –عليه السلام-، بأن جعل من ذريته ولياً يجيد النيابة بعده في العقيدة[3].

وبهذه الأمثلة توضح لنا الأسلوب الجمالي البليغ الذي يؤثر في نفس المتلقي، من تقدم كلمة على كلمة أخرى لتعطي أثراً بلاغياً جميلاً.

2-الإيجاز والإطناب:

يعد الإيجاز والإطناب من أساليب البلاغة التي نحتاج اليها في كل نوع من أنواع الكلام، ولكن لكل أسلوب مكانه الخاص، وكل واحد يحتاج إلى الآخر، ولا يمكن وضع الإيجاز مكان الإطناب، ولا الإطناب مكان الإيجاز.

والإيجاز: هو "اندراج المعاني الكثيرة تحت اللفظ القليل"[1].

---

(1) ينظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص491؛ وسيد طنطاوي، **التفسير الوسيط**، ص2769.
(2) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج12، ص184.
(3) ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج5، ص91.

وسأذكر بعض الأمثلة في السورة الكريمة:

- قال تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [مريم:2]، حذف المبتدأ للتنبيه وبيان الأهمية والتقدير: (هذا ذكر) ليكون أقرب إلى السامع وهو (الذكر).

- الإيجاز في قصص القرآن هو الغالب فيها، مثل الانتقال من قصة زكريا إلى مخاطبة يحيى –عليهما السلام- في قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (11) يَايَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم:11-12]، جاء هنا الإيجاز والسرعة في الأخبار، ودلالة السياق هي الإشارة إلى تحقيق البشارة، وإنجاز الوعد، والتقدير: قلنا يا يحيى خذ الكتاب[2].

الإطناب: "هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة"[3] كما أن الزيادة في الكلام تسمى (تطويلا أو حشواً) إذا لم تكن للفائدة[4].

- مثاله في قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (41) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم:41-42] حيث جاء الإطناب في قوله ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ وهي جملة اعتراضية بين المبدل منه والبدل لأنها وقعت موقع التعليل للاهتمام بذكر سيدنا إبراهيم –عليه السلام- لان اسم الزمان (إذ) جاء بدلاً من إبراهيم؛ وهو دليل على صدقيّته[5].

3-القصر والاختصاص:

يعد أسلوب القصر والاختصاص من الأساليب البلاغية، التي اختصت بها العرب، أما القصر في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم:19]، جاء واضحاً حينما جعل الهبة من قبله لما كان الإعلام بها من قبله، على معنى أرسلني الله ليهب لك غلاماً

---

(1) الدكتور محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، **علوم البلاغة**، (لبنان- طرابلس، المؤسسة الحديثة للكتاب، 2003م، ط1)، ص357.
(2) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج16، ص75.
(3) ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت: 637هـ)، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، (الفجالة، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع)، ج2، ص280.
(4) أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت: 1362هـ)، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، تحقيق: د. يوسف الصميلي، (بيروت، المكتبة العصرية)، ج1، ص201،
(5) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج16ص112.

طاهراً من الذنوب، فالمقصور يتمثل في (أنا) والمقصور عليه (رسول ربك)، ويقول ابن عاشور: "قصر إضافي أي لست بشراً، جواباً على قولها إن كنت تقياً؛ اعتقاداً منها أنه بشر"[1].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ (مريم:49) أي: جاء التخصيص في إسحاق ويعقوب –عليهما السلام- بالنبوة، وهبهم الله لإبراهيم –عليه السلام- وهما ابنه وابن ابنه، والتخصيص في هذه الآية لبعضهم لا لغيرهم[2].

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم:40]، حيث جاء تقديم الجار والمجرور (الينا) على الفعل (يرجعون) لإفادة معنى القصر، أي: الرجوع إلى الله لا الى غيره.

المطلب الثاني: التناسب والترتيب في الأساليب البديعة وأثره في الإعجاز.

تعد الأساليب البديعية والبيانية من الأساليب التي حفل بها القرآن الكريم، مما تعطي للسورة جمالاً فعالاً في نفس المتلقي، وبهذا يظهر لنا الإعجاز البلاغي.

وسأذكر أهم الأساليب البديعية والبيانية التي تفيدنا في هذا المجال.

البديع: "هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته"[3]، وقد قسم العلماء البديع إلى: محسنات معنوية ومحسنات لفظية.

أولاً: المحسنات المعنوية:

1- المبالغة:

"وهي أن يذكر المتكلم وصفا فيكثر فيه حتى يكون أبلغ في المعنى الذي قصده"[4]، ومن الأمثلة التي تدل على صيغة المبالغة:

- في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم:41]، وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم:56]، جاءت (صديقاً) بصيغة

(1) المصدر نفسه، ج16، ص81.
(2) ينظر: الغرناطي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، ط1، ج1، ص482.
(3) محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت: 739هـ)، **الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، (بيروت، دار الجيل، ط3)، ج1، ص50.
(4) السيوطي، **الاتقان في علوم القرآن**، ج3، ص323.

المبالغة من الصدق على وزن فعيل، أي: ملازماً للصدق، دلالة على شدة صدقهم وإخلاصهم لربهم[1].

- وجاءت صفة (الرحمن) أربع مرات في قصة هؤلاء المفترين على الله بأن له ولد في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88) ... وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم:88-95]، وتكرار صفة الرحمن بهذا العدد تأكيداً على المبالغة؛ ودلالة على عموم الرحمة، وهو ما يفتقر إليها كل إنسان في هذه الدنيا، فلا غنى لنا عن رحمته سبحانه[2].

2- الطباق:

هو: "الجمع بين متضادين في الجملة"[3] نلاحظ أن للطباق دلالات فنية قيمة في توضيح وتقريب المعنى في نفس المتلقي. ويمكن توضيحه بالأمثلة الآتية:

قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم:11]، جاء الطباق بين اسم واسم في (بكرة وعشيا) دلالة على أهمية الذكر في أول النهار وآخره، كما يجب على المسلم أن يجمع بين التسبيح والذكر وبين طلب الرزق والسعي إليه[4].

- جاء الطباق في الآيتين قوله تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم:15]، وقوله تعالى: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم:33]، نلاحظ التشابه اللفظي في كلا الآيتين؛ ولكن في الآية الأولى هذا الطباق بالطباق المركب، فبعد الولادة يأتي الموت وبعد الموت يأتي البعث؛ لأن الإنسان في هذه الأوقات في غاية الضعف والحاجة والافتقار إلى الله[5].

3- المقابلة:

هي: "أن يوفق بين معان وقرائنها والمضاد بضده"[6]. ومن الأمثلة على ذلك:

جاءت المقابلة اللطيفة بين المتقين الأبرار والمجرمين الأشرار في الآيتين: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (85) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم:85-86]، وبهذا نلاحظ أن نحشر يقابلها نسوق، والمتقين يقابلها المجرمين، والرحمن (الجنة) يقابلها جهنم، والوفد يقابلها

(1) ينظر: سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط**، ص2782؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج16، ص112.
(2) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج16، ص173.
(3) الزمخشري، **الاتقان في علوم القرآن**، ج3، ص325.
(4) ينظر: ابن عجيبة، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، ج3، ص322.
(5) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج4، ص8.
(6) الباقلاني، **إعجاز القرآن**، ط5، ص87.

الورد، ومن خلال هاتين الآيتين نلاحظ التقابل الدقيق في التعبير القرآني دلالة على إعجازه، وبهذا التقابل سيلاقي كل طرف منهم مصيره[1].

- في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: 20]، جاء التقابل بين (وَلَمْ يَمْسَسْنِي) و (وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا) تقابل معنوي ففي الأولى جاءت تدل على عدم النكاح بالحلال، وفي الثانية تدل على عدم الفعل الحرام وهو الزنا[2]. وبهذا التقابل يظهر لنا الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم.

4- الالتفات:

هو: "نقل الكلام من حالة إلى حالة أخرى مطلقاً"[3]، مما يعطي للقارئ اللذة والمتعة في القراءة. ومن الأمثلة على ذلك:

- في قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم:9]، حيث تم الانتقال من ضمير الغائب في قوله (قال ربك) إلى ضمير المتكلم في قوله (هو علي هين) التفاتاً، والظاهر هو عليه هين دلالة على إنجاز الوعد[4].

- وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ مريم:88-89]، جاء رداً على ما قالوه واقترفوه بطريقة الالتفات المبني على كمال السخط وشدة الغضب، لأن توبيخ الحاضر أبلغ في الإهانة له[5].

ثانياً: المحسنات اللفظية:

ومن أهمها، الجناس والمماثلة والسجع.

1-الجناس:

هو "تشابه اللفظين في اللفظ"[1]، ويقول الباقلاني: "ومنه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى في تأليف أحرف، أو في الاشتقاق، وأحياناً في المعنى"[2]. وسأذكر بعض الأمثلة من السورة الكريمة.

---

(1) الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ط3، ج16، ص159.
(2) ينظر: الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط3، ج3، ص10؛ والبيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ط1، ج4، ص8.
(3) أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (ت: 773 هـ)، **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، (بيروت، لبنان، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1423 هـ - 2003 م، ط1) ج1، ص272.
(4) ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج5، ص256-257.
(5) ينظر: المصدر نفسه، ج5، ص282.

- فالجناس بين (نسيا) و (منسيا) في قوله تعالى: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾ [مريم: 23]، جناس غير تام، والكلمتان تدلان على النسيان، ولكن (منسيا) أكثر دلالة وتأكيداً في زيادة عملية النسيان[3].

- فالجناس بين (فَخَلَفَ) (خَلْفٌ)، في قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: 59] جناس ناقص لاختلاف الحركات والشكل، لان تغير الحركات أدى الى تغير دلالي نحوي، (فخَلَفَ) فعل ماضٍ يأتي بعد المتقدم، و (خَلْفٌ) مصدر حققت الفاعلية للفعل (خَلَفَ)، فجاء من بعدها (من بعدهم) زيادة في تأكيد المعنى، واتبعها بكلمة (خَلْفٌ) على نفس النسيج زيادة في التأكيد، دلالة على سلوكهم الفاسد[4].

وبهذا نلاحظ أن التجانس يظهر لنا الدقة في اللغة العربية، حيث جاء اللفظ واحد في سياقين مختلفين يحمل معانٍ مختلفة ولهذا يظهر لنا عظمة وبلاغة القرآن الكريم وإعجازه.

2- المماثلة:

هو: "أن يريد المتكلم العبارة عن معنى، فيجيئ بلفظة تكون موضوعة لمعنى آخر، إلا أنه ينبئنا إذا أورده عن المعنى الذي أراده"[5].

حيث جاءت المماثلة في سورة مريم مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: 65]، أي: نجد المماثلة في هذه الآية الكريمة، ولكن المماثلة اسمية فقط، لأن لفظة إله وإن كانت مشتركة لكن لم نجد لفظة الله مستخدمة عند المشركين على اختلاف عبادتهم فنفى الله المماثلة عن اسمه وهو رب العوالم علويها وسفليها ليس له شبيهٌ ولا نظير[6].

---

(1) محمد بن عرفة الدسوقي، **حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني (ت: 792 هـ) [ومختصر السعد هو شرح تلخيص مفتاح العلوم لجلال الدين القزويني]**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (بيروت، المكتبة العصرية)، ج4، ص151.
(2) الباقلاني، **إعجاز القرآن**، ج1، ص286.
(3) ينظر: الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ط2، ج16، ص75.
(4) ينظر: المصدر نفسه، ج16، ص130.
(5) أبو هلال العسكري، **الصناعتين**، ص353.
(6) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج16، ص143.

3- السجع:

هو: "تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد"[1].

والسجع في القرآن يسمى (الفواصل)، ولم يسمى سجعاً تنزيهاً للقرآن عن غيره من كلام البشر، والفواصل القرآنية كلها بلاغة وحكمة، مما تعطي للمتلقي حُسناً في إفهام المعنى، الفواصل في القرآن الكريم كثيرة، وإن سورة مريم احتوت على فواصل متعددة ذات نغم موسيقي فيه من البلاغة والاعجاز ما فيه.

وقد تحدثنا عن الفاصلة في سورة مريم في الفصل الثاني فلا حاجة لتكرار الموضوع مرة ثانية.

المطلب الثالث: التناسب والترتيب في الأساليب البيانية وأثره في الاعجاز.

تعد الأساليب البيانية من الأساليب الجمالية التي تؤثر في العقل والقلب معاً، لتعطي أسراراً بلاغية جمالية اسلوبية تعجيزية، منها.

1-التشبيه:

هو "الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى بإحدى أدوات التشبيه لفظاً أو تقديراً"[2].

وللتشبيه قيمة فنية جمالية، إذ إنه يضيف الى المعنى مكانةً ووضوحاً ويزيده قوة وتأكيداً، ويرفع من مكانة الكلام فتميل النفس له، ويتحرك القلب إليه لأنه ينتقل من المعنى الأصلي إلى المعنى التشبيهي، وكلما وضَّح التشبيه المعنى وأضاف اليه قوة ووضوحاً كان أملك للنفس وأبعد للتأثير.

وسأذكر بعض الأمثلة على التشبيه في سورة مريم.

- قال تعالى في قصة سيدنا زكريا –عليه السلام- ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم:9]، ومثلها في قصة سيدتنا مريم –عليها السلام- ﴿قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم:21]، نلاحظ التشبيه في الآيتين الكريمتين باستخدام أداة التشبيه (كذلك) لبيان قدرة الله في خلق يحيى وعيسى

(1) القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، ط4، ص362.
(2) حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجيُّ (ت: 1429 هـ)، **البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع**، (القاهرة-مصر، المكتبة الأزهرية للتراث، 2006 م، ط6)، ص17.

–عليهما السلام- كخلق أبي البشر آدم –عليه السلام- من العدم، ووجه الشبه: هوان وسهولة الأمر على الله –سبحانه- [1].

- وفي قصة سيدتنا مريم –عليها السلام- قال تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم:17]، حيث جاءت كلمة (بشراً) حال من ضمير الفعل (تمثل)، وهو حال على معنى التشبيه البليغ، إذ صار جبريل –عليه السلام- وهيئة البشر كالشيء الواحد، وإنما تمثل لها كذلك للتناسب بين كمال الحقيقة وكمال الصورة، وعلى الرغم من هذا الجمال والحسن نجد مريم تتعوذ ورعاً وزهداً، للإشارة إلى كمال عصمتها[2].

- وكذلك التشبيه البليغ في قوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم:52]، للبيان والتوضيح والتأكيد على علو الشأن[3].

2- المجاز:

هو " اللفظ المستعمل في غير ما وضع له؛ لعلاقة مع قرينة مانعة عن إرادة الموضوع له"[4]. كما قال الجرجاني بأنه: "كنز من كنوز البلاغة، ومادّة الشاعر المفلق والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان، والاتساع في طرق البيان، وأن يأتي بالكلام مختوما مصنوعا، وأن يضعه بعيد المرام، قريبا من الأفهام"[5]، ومن الأمثلة على المجاز في سورة مريم، سأذكر بعضاً منها:

- المجاز في قوله تعالى تعقيباً على قصة عيسى وأمه –عليهما السلام-: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم:34]، علاقته سببية، حيث وصف الله عيسى –عليه السلام- كونه (قول الحق)، والقول عيسى نفسه كما أطلق عليه بـ (كلمة) من تسمية المسبب باسم السبب[6].

- المجاز في قصة إبراهيم –عليه السلام- قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم:50]، حيث أطلق اللسان وأراد به الذكر الحسن والثناء الجميل، باعتبار أن اللسان آلة الكلام[7].

---

(1) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج16، ص72.
(2) ينظر، المصدر نفسه، ج16، ص80؛ والزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج3، ص9.
(3) ينظر: الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج3، ص25.
(4) إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي (ت: 943 هـ)، **الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم**، *تحقيق:* عبد الحميد هنداوي، (بيروت- لبنان، الكتب العلمية)، ج2، ص343.
(5) الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ط1، ص193.
(6) ينظر، البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج12، ص195.
(7) ينظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ج16، ص102.

3- **الاستعارة:**

"وهي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له وقد تقيد بالتحقيقية لتحقق معناها حسا أو عقلا"[1]، كما تعد الاستعارة من الأساليب الفنية الجمالية التي تؤثر في نفس المتلقي مما تتركه من أثر بليغ في التصوير البلاغي. وسأذكر بعض الأمثلة على ذلك في سورة مريم.

- ففي قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم:4]، لقد أدلى المفسرين في تفسير هذه الآية عدة شروح بيانية، فهذا السياق احتوى على لطائف بلاغية فنية، وجاءت على شكل استعارتين تصريحية تبعية في (اشْتَعَلَ) واستعارة مكنية في (الشيب)، حيث شبه عموم الشيب شعر رأسه أو غلبته عليه باشتعال النار في الفحم بشمول انتشار شيء مضيء في جسم أسود، تشبيها مركبا تمثيليا قابلا لاعتبار التفريق في التشبيه، وهو أبدع أنواع المركب. فشبه الشعر الأسود بالفحم والشعر الأبيض بالنار على طريق التمثيلية المكنية ورمز إلى الأمرين بفعل (اشتعل)[2].

- وفي قوله تعالى: ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم:78]، "أطلع الجبل: إذا ارتقى إلى أعلاه... ويقولون: مرّ مطلعاً لذلك الأمر، أي عالياً له مالكاً له، ولاختيار هذه الكلمة شأن، يقول: أو قد بلغ من عظمة شأنه أن ارتقى إلى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار"[3].

حيث شبه الغيب بالجبل الشامخ الذي لا يرقى اليه الطير، فحذف المشبه به وأخذ شيئاً من لوازمه (أطلع) على سبيل الاستعارة المكنية، الذي لا يصل الى مبتغاه، والغرض منها السخرية البالغة.

- وفي قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم:57]، شبه المكانة الكبيرة والمنزلة الرفيعة بالمكان العلي بطريقة الاستعارة، فدلت هذه الصورة على شرف النبوة ومدى قربهم ومنزلتهم عند الله -سبحانه-[4].

---

(1) القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، ط4، ص261.
(2) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج16، ص64؛ والألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج8، ص280.
(3) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل** ج4، ص113.
(4) ينظر: الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ط3، ج16، ص125؛ والألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج423،8.

-وفي قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم:13]، قال الزمخشري في هذه الآية: "حنانا من الله عليه. وحنّ: في معنى ارتاح واشتاق، ثم استعمل في العطف والشفقة، وقيل لله (حنان) كما قيل (رحيم) على سبيل الاستعارة"[1].

وبهذه الأمثلة المتمثلة في الاستعارات توضح لنا الصورة الفنية ودورها البارز في استخراج المعاني الجميلة التي تساهم في تحقيق التناسب والترتيب في السورة وأثره في الإعجاز.

4- الكناية:

وهي "أن يريدَ المتكلمُ إثباتَ معنىً من المَعاني فلا يذكُرُه باللّفظِ الموضوعِ له في اللُّغة ولكن يجيءُ إلى معنىً هو تاليهِ وردفُه في الوجودِ فيومئ به إليهِ ويجعلهُ دليلاً عليه"[2].

وللكناية دور مهم في توضيح المعاني ومن الأمثلة على ذلك:

-جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: 4]، كناية عن الضعف وذهاب القوة والشيخوخة في (وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي) وهي كناية عن صفة للموصوف وتفيد التأكيد والتوضيح[3].

-وفي قوله تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: 20]، كناية عن النكاح الحلال في (وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ)، ثم تأتي الجملة الثانية تنافي البغاء والزنا، "فالكلام كناية عن التنزه عن الوصم بالبغاء بقاعدة الاستصحاب، والمعنى: ما كنت بغيا فيما مضى أفأعد بغيا فيما يستقبل"[4].

- وفي قوله تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (25) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [مريم: 25-26]، حيث جاءت الكناية في (جنيا) و (قرة العين)، والجني: فعيل بمعنى مفعول، أي مجتنى، وهو كناية عن الرطب الطرية الحديثة السقوط، ولم يكن من المخبوء، لأن الرطب متى كان حديثاً كان أطيب طعما[5].

---

(1) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط3، ج3، ص8.
(2) الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ط1، ص66.
(3) ينظر: الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ط2، ج16، ص50؛ والألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ط1، ج8، ص380.
(4) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج16، ص82.
(5) المصدر السابق، ج16، ص88.

وقرة العين: كناية عن طيب النفس والسرور[1].

ومن هنا نخلُص وبعد وقوفنا أمام أهم مواطن دلالات وأساليب الألفاظ في سورة مريم، نقول: إنها تجعل الكلام أو الحديث في أحسن صورة بلاغية، تدعو المتلقي الى زيادة التدبر والبحث عن خباياها، وخاصة ونحن تحت مشهد من مشاهد القرآن الكريم، وسماته الكبيرة لما يحمله من أساليب وصيغ عجيبة بليغة، ومما يلاحظ أن دراسة التناسب في القرآن الكريم ليس بشيء سهل بل يحتاج إلى ذكاء أولاً في فهم الخطاب القرآني.

(1) البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج12، ص191.

المبحث الثاني

أثر التناسب والترتيب في الكشف عن وجوه الإعجاز التاريخي.

اعتنى القرآن الكريم بقص تأريخ الأمم السابقة، تركيزاً في مواجهته للمعاندين له، فيخبر عن معيشة أقوام عاشوا من الآف السنين بشكل موثق وبإحكام بليغ، لا يصل إليه كُتّاب التاريخ مهما جاءوا به من بينة مادية، وقد لون القرآن في شرح تأريخ الأمم السابقة، وأظهر أن العبرة من هذه الأخبار أعظم أثراً وأعم حكمة، لا لمجرد الترفيه وملء الفراغ؛ لذا قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف:111]، فالإعجاز التاريخي كما ذكره السيوطي: هو ما اشتمل عليه من أنباء العصور السابقة والأمم الفانية والقوانين المندثرة، مما كان لا يعرف منه الحكاية الواحدة إلا الذكي من أحبار أهل الكتاب، الذي أمضى عمره في دراسة ذلك؛ فيورده النبي –صلى الله عليه وسلم- على صورته ويأتي به على صيغته، وهو أُميّ لا يقرأ ولا يكتب[1]، وسنرى كما سيأتي معنا من قصص.

المطلب الاول: الإعجاز التاريخي في قصة سيدنا زكريا وابنه يحيى –عليهما السلام-.

كانت أمة العرب قبل الإسلام أمة ضالة لا تعرف شيئاً عن تأريخ الأنبياء والمرسلين السابقين، باستثناء الأحبار والرهبان وكانوا على خصام فيما بينهم، فجاء القرآن الكريم بتفصيل تاريخي لهؤلاء الأنبياء والمرسلين، وجاءهم النبي –صلى الله عليه وسلم- بتاريخهم مفصلاً، مما أسفر عن إقرار بعض الرهبان والأحبار، فصدقوه فيما أخبر عن ربهِ بيناً جلياً، وخرجوا من دينٍ كانوا علماءه وتبعوا سيدنا النبي –صلى الله عليه وسلم-.

قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: 49].

ومن أوجه الإعجاز التاريخي في سورة مريم؛ عندما يقص –سبحانه- على نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم- في هذه الآيات كيف رحم عبده ونبيه زكريا –عليه السلام-، قال تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (2) ...وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: 2 - 15].

---

(1) ينظر: السيوطي، **الاتقان في علوم القرآن**، ج4، ص19.

وقصّة زكريّا وابنه يحيى -عليهما السلام-، قد تقدم مجيؤها في سورة آل عمران، وهي تخالف ما سبقها في نمطها ومنهجها وما فيها من إضافة.

يقول ابن كثير: المعنى أن الله تعالى أمر رسوله -صلى الله عليه وسلم- أن يخبر الناس قصة زكريا -عليه السلام-، وما حدث من شأنه حين منحه الله ولداً على الهرم، وكانت زوجته مع ذلك عاقراً في حال شبابها وقد كبرت أيضاً، حتى لا يقنط أحد من فضل الله ورحمته(1).

يقول: لمّا تضرع إلى ربه، وطلب منه بدعاء خفي، كراهة منه للرياء، (إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا) أي خفية، وإن الله مطلع على القلب النقيّ، ومنصت للخطاب المستور، قال قتادة: ابتغى زكريا الولد، فنهض فصلى، ثم توسل ربه خفية، فقال: (رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي) أي: فكانت مناداته الخفية التي نادى بها الله –سبحانه-أن قال (وَهَنَ) تعب ونَحِلَ من الكبر، وإسناد الوهن إلى العظم لما أنه سند الجسم وعماد البدن (2).

وقوله: (وإني خفت الموالي): أي صنيع الأقارب أن يفسدوا الخلافة (من ورائي) أي: في بعض الزمان الذي بعد رحيلي (وكانت امرأتي عاقراً) لا تنجب أصلاً، وبسبب خشيتي من رداءة خلافة أقاربي، وقنوطي من الابن عادة بعقر زوجتي، ووصولي من الكبر مستوىً لا حراك بي معه -(فهب لي)، إني أقول لك يا قادراً على كل شيء: اعطني (من لدنك) أي من الحلول المخفية العجيبة التي عندك، لم تفعلها على أنماط العادات والدوافع الدائمة، لا من ناحية علة أعرفها، فإن دوافع ذلك لدي معدومة (3).

ووجه الإعجاز التاريخي يتضح في حقيقة الدلائل القرآنية والنبوية عن هذا النبي الصالح، فعلى الرغم من التماثل بين ما أخبر به القرآن الكريم، وما نقلته بعض كتب الأولين عن نبي الله يحيى بن زكريا –عليهما السلام-، فإن التباين بين كلام الله وحكايات البشر، هو أظهر من الشمس في وضح النهار.

وواضح الأمر أن ذكر القرآن الكريم لنبي الله يحيى بن زكريا -عليهما السلام- يشهد بأن هذا الكتاب العزيز لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو بيان الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده الذي قطعه على ذاته العلية، في نفس لغة وحيه (اللغة العربية)

---

(1) ينظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، **قصص الأنبياء**، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، (القاهرة، مطبعة دار التأليف، 1388 هـ - 1968 م، ط1) ج2، ص349.
(2) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج18، ص142؛ وأبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج5، ص253.
(3) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج12، ص169.

وحفظه على مدى أربعة عشر قرنا أو يزيد، وتعهد بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم شاهداً على الخلق أجمعين إلى يوم الدين بأنه كلام رب العالمين، وشاهداً للنبي الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة.

والاعجاز التاريخي يكمن في الآية الكريمة التي أشارت إلى نبي الله يحيى بن زكريا -عليهما السلام-، وقد عاشا قبل أن ينزُّل القرآن الكريم بأكثر من ستمائة سنة.

وتدل الأخبار إلى أنَّ زكريا –عليه السلام- كان قد بعث في الحقبة التي سبقت ميلاد المسيح مباشرة، وكلاهما ينتهي نسبه إلى سليمان بن داود –عليهما السلام-، وكانت بعثة زكريا –عليه السلام- في وقت كان الدين قد زال، وانتشرت الخطايا في بني إسرائيل، واستبيحت المحرمات، وتفشت المنكرات، وتفسخت المجتمعات تفسخاً عظيماً، فبعثه الله –تعالى- عبده زكريا نبياً إلى قومه يرجعهم إلى الدين السديد، ويدعوهم إلى عبادة الله –سبحانه وتعالى- وحده، وإلى التقيد بأحكامه، وتجنب نواهيه، وخاف زكريا –عليه السلام- على قومه من زوال الدين، وفناء الضمائر، وتخلص المجتمع من كافة الأخلاق، ولم يكن له ولد يخلفه، فدعا ربه أن يرزقه بولد يكمل مسيرته من بعده بالمحافظة على المجتمع من الضياع، فاستجاب له المولى –سبحانه- فوهبه يحيى –عليه السلام-[1].

المطلب الثاني: الإعجاز التاريخي في قصة سيدتنا مريم وابنها عيسى –عليهما السلام-

وفي القرآن الكريم قصة سيدتنا مريم -عليها السلام-، وترتيبها، وكيف اختصموا في كفالتها، وكيف يستخدمون القرعة بالسهام لتكون كفالتها لمن تكون السهام له، قال تعالى مخبراً: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: 44]، فلم تذكر قصة مريم البتول في التوراة، ولا الإنجيل، ولا رسائل الرسل قط، والقرآن الكريم وحده هو الذي بيّن اصطفاءها، وفضلها على نساء العالمين [2].

وقد أوردت السورة الكريمة معجزة حملها بابنها عيسى دون أن يمسها بشر (من أم بلا أب) ووضعها إياه طفلاً يتكلم وهو في المهد.

---

(1) ينظر: زغلول النجار، **من آيات الإعجاز الإنبائي والتاريخي في القرآن الكريم**، (لبنان، بيروت، دار المعرفة، 1434هـ - 2013م، ط1)، ص843.
(2) ينظر: أبو زهرة، **المعجزة الكبرى القرآن**، ص247.

وقد ذكر القرآن الكريم قصة عيسى –عليه السلام- بقدر عظيم من الإحكام المتناهي، بعد أن كانت كل من سيرته المستقيمة، ودعوته الكريمة قد خالطها العديد من التزييف والتغيير، ويعتبر ذلك بصدق سبيلاً من سبل الإعجاز الإخباري والتاريخي في هذا الكتاب العزيز، يبرهن له بأنه كلام الله المبدع[1].

وعن قصة ولادة عيسى -عليه السلام- وما رافقها من مخالفة للمألوف، وما أعطاه -سبحانه- من معجزات وعن مجادلة الكافرين من أهل الكتاب في أمره، وكيف رد القرآن عليهم، وقد هيأ القرآن لولادة عيسى بتوضيح أن الله -تعالى- قد اصطفى أمه مريم ونقاها من كل فاحشة، وميزها على نساء عصرها، وحفظها من كل ما يخدش المروءة والعرض[2].

واذكر يا محمد في القرآن مريم البتول وقصتها الصحيحة، التي تحتوي على ولادتها لعيسى-عليه السلام- إلى بني إسرائيل، ونفي الولد عن الله –عز وجل-، وبينما مريم في خلوتها إذ بجبريل روح القدس –عليه السلام- يتشبه لها بصورة بشر، وبغتة هذا الإنسان يقول لها: إنما أنا رسول ربك الذي تستعيذين به، أتيت لأعطيكِ ولداً طاهراً زكياً، قالت مريم: كيف يكون لي غلام؟ والوضع أني لم يلمسني إنسان في نكاح أصولي ولم أكن فاجرة من الفاجرات!! واستفهامها لم يكن عن نفي لمشيئة الله، ولكنها ذهلت كيف يأتي هذا الغلام؟ إلى أن ارتاحت مريم إلى كلامه وانعزلت عن أهلها متجهة بعيداً، فأجبرها الوضع قاصدة جذع النخلة لتستتر به، وتستند عليه عند المخاض قالت: يا ليتني مت قبل هذه الواقعة، وكنت شيئا مهملاً، تلاحظها رغبت بالموت خشيةً من أن يُعتقد بها الضرر في دينها، أو يقع أحد بسببها في الزور، فخاطبها جبريل بألا تغتمي ولا تتأوهي؛ فهذه آية الله المشيرة إلى أن الأمر خارق لما هو دارج، وأن لله في خليقته أموراً، فها هو ذا قد جعل لك ربك تحتك نهراً يطفح بالماء بعد أن كان جافا، وهزي جذع النخلة اليابسة تنزل عليك رطباً لذيذاً، أليست هذه علامات الرضا؟ وعلامةً على أن الله معك ولن ينساك يا مريم، فكلي من الرطب واشربي من النهر وقرى عيناً، واطمئني خاطراً، فالله معك، وصائنك من القوم، ولما ارتاحت مريم -عليها السلام- بما لاحظت من الآيات، وانتهت من نفاسها وأتت بعيسى إلى أهل بيتها تحمله، فلما أبصروا الولد معها اغتموا، وكانوا آل بيت صالحين: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:33]، فقالوا منكرين: يا مريم لقد جئت شيئاً عظيماً وغريباً ونادراً في طبيعتنا وبيتنا؛ يا مريم لم يكن أباك رجل سوء بل كان رجلاً صالحاً، وعبداً تقياً، ولم تكن أمك بغياً، فمن أين يأتي لك هذا الذنب؟! فأشارت إلى الوليد الصغير

(1) ينظر: النجار، **من آيات الإعجاز الإنبائي والتاريخي في القرآن الكريم**، ص856.
(2) ينظر: طنطاوي، **التفسير الوسيط**، ج2، ص83.

أن تحدث، قالوا مندهشين مستغربين ذلك: كيف نحادث صبياً؟! حسبوا هذا سخرية بهم وجريمة إضافة إلى جريمتها الأولى، ولكن الوليد الصغير لم يكن كأشباهه، ترعرع من أب وأم، بل كونه معجزة لله عجيبة وخلقة غريبة يؤمن بسببه أناس، ويكفر آخرون، قال إني عبد الله -ولست ولداً لله ولا جزءاً منه بل أنا بشر وعبد له- آتاني الكتاب وهو الإنجيل، وأرسلني نبياً إليكم، وجعلني مباركاً في كل شيء، ومستقراً على دين الحق، وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً، وجعلني باراً بوالدتي، ولم يجعلني ربي جباراً عاصياً وبائساً مبعداً، والسلام من الله العلي القدير، عليَّ يوم ولدت من غير أب، ويوم أموت، ويوم أبعث حياً[1].

(1) ينظر: محمد محمود الحجازي، **التفسير الواضح**، (بيروت، لبنان، دار الجيل الجديد، 1413هـ)، ج2، ص449.

المبحث الثالث

أثر التناسب والترتيب في الكشف عن وجوه الاعجاز في العلوم التجريبية

اعلم إن الإيمان لا يقوم على مجرد التخمين أو التسليم، وإنما مبني على العلم؛ فالعلم هو اللغة التي يدركها أبناء اليوم، وإذا كان الغرب قد تقدم في مجال العلوم التجريبية تقدمًا كبيراً يشق على المسلمين اللحاق بهم، فلا يفوتنا الا أن نقدِّم لهم ما جاء في القرآن والسنة من حقائق علمية، قد اكتشفها علماء الغرب أنفسهم، فتعجبوا عندما فهموا أن الإسلام قد تكلم عن هذه الحقائق العلمية الخارقة قبل أربعة عشر قرنًا، ولا زالت الشواهد العلمية موجودة في القرآن والسنة ويبقى العلم عاجزًا عن اكتشاف خباياها، وسيظهر ذلك اليوم -إن شاء الله-[1].

وفي سورة مريم كثير من الحقائق العلمية التجريبية سأذكر بعضاً من هذه الحقائق.

المطلب الأول: الإعجاز الطبي في قصة سيدنا زكريا –عليه السلام-.

من خلال النصوص التي جاءت في سور القرآن الكريم في سورة الأنبياء وسورة آل عمران وخصوصاً سورة مريم، نجد أن زكريا وزوجه –عليهما السلام- قد بلغا من العمر ما بلغا وخاصة أن زوجته عاقر، والعقر: معروف لدى أهل الاختصاص طبياً يستحيل أن المرأة تحمل؛ ولكن من خلال التجربة التي قصها الله علينا في سورة مريم، وكيف استخدم زكريا –عليه السلام- سلاح الدعاء وفعل الخيرات كما وصفه المولى –سبحانه وتعالى-؛ فقد وهبهم الله يحيى –عليه السلام-، وإن الأسباب تتعطل أمام آيات الله الباهرة، حيث أن يحيى هو تجربة، وإن في قصصهم عبرة لأولي الألباب.

وسنعرض بعض الأمور الطبية الحساسة في هذا النظام الهرموني في جسم الإنسان، كما ورد في بداية سورة مريم والمتمثلة في قوله تعالى: ﴿كهيعص (1) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (2) ...قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم:1-8].

فنلاحظ في مطلع الآيات التي في بداية سورة مريم، جاء ذكر خمسة أعراض طبية، اجتمعت في زكريا –عليه السلام- وهي:

- قوله تعالى: ﴿وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾، وهو تخصص في علم العظام.

- قوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾، وهذه مختصة في علم الجلدية.

(1) ينظر: **مجلة الشريعة**، العدد 35، ص42.

- ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾، وجاءت مختصة بعلم الأعصاب.

- ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾، وهذه مختصة بعلم الخصوبة.

- ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾، وهذه مختصة بعلم الشيخوخة.

وذُكرت هذه الأعراض مجتمعة في زكريا وزوجه دون غيرها من الأعراض، لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى، وإن هذه الأعراض تصيب أي إنسان عادي؛ وليست مقتصرة على سيدنا زكريا وزوجه –عليهما السلام-، لأن كل انسان يتقدم بالعمر تظهر عليه علامات الشيخوخة من ضعف للعظام وغيره، وتضعف قدرته على الإنجاب، ونلاحظ أن زكريا كان مهتماً باستمرار الدعوة، وذلك لن يتحقق إلا بوجود ولد من صلبه؛ وهنا يتحقق الإعجاز الطبي، بمجيء الولد من شيخ كبير طاعن في السن وزوج عقيم.

وسأقف على هذه الأعراض الطبية التي جعلها الله نظاماً في البشر، وبذكر التفاصيل التي تربط هذه الأعراض بعضها ببعض:

1- قال تعالى: ﴿وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾، إن ضعف ووهن العظام وهشاشتها كحالة مرضية عامة؛ هو عبارة عن النقص لكتلة النسيج العظمي، من غير أن تحصل فيها تحولات نوعية خاصة، إذن هو نتيجة سيطرة عملية امتصاص العظم، أكانت علة ذلك راجعة إلى نقصان حيوية خلايا التعظم، أو إلى إفراط في مهنة الخلايا الآكلة للعظم. وينشأ عن هذه المسألة نقصان في قوة العظم، مما يجعله هدفاً لحدوث الكسور التلقائية. فلين العظم هو نقصان غير طبيعي في السمك المعدني للعظم وتبدل نوعيته مع بلوغ الإنسان وتقدمه في العمر[1].

وبالمحصلة فإن خسارة العظام يبقى متأخراً نسبياً، إلا أنه يكون متواصلاً وهذا ما أكدته الأبحاث الصحية والطبية حديثاً، وبعد سن 65 عاماً، فإن الذكور والإناث يخسرون العظام بنفس المستوى تقريباً، ولاحقاً سيخسر الرجل في المعدل نحو 20% من العظم القشري (الطبقة الخارجية الكثيفة للعظم) و30% من العظم الدويعمي أو الحويجزي (الطبقة الداخلية الاسفنجية للعظم) أي أنها تتجاوز المراحل الحاجزة بين الذكور من أصحاب العظام الصحيحة، وبين الذكور المصابين بهشاشة العظام.

(1) ينظر: د. محمد الديب، جراح العظام بمستشفى جدة الأهلى بجدة، مقال بعنوان (قراءة علمية وإعجازية فى وهن العظام عند الرجال)، رابطة العالم الإسلامي، **https://www.eajaz.org/index.php/Scientific-Miracles/Medicine-and-Life-Sciences**.

وبتقدم العمر قد تتدنى مستويات التستوستيرون الى أدنى المستويات الفطرية مسببة ظواهر انخفاض التستوستيرون، والتي قد تطابق وضع نقص هرمون الأنوثة عند النساء الذي يلازمه مظاهر سن اليأس من المحيض، ويلازم هذا النقص في نسبة التستوستيرون أعراض سريرية، منها انخفاض في مقدار العضلات وكتلة العظام، ونقص الرغبة إلى الجنس الآخر وإحجام عن النشاط الجنسي[1].

أما الوهن عند المفسرين: قال الطبري: يعني بقوله (وهن) هزُل ولان من العجز[2]. قال البغوي: "ضعف ورق (العظم مني) من الكبر"[3]. قال ابن كثير: أي: وهنت وفَترت الطاقات[4]. وقال السعدي: وهن أي: عجز، وإذا رقَّ العظم، الذي هو سند الجسم، عجز غيره[5].

2- الشيخوخة:

للإنسان أطوار عدة يمر بها في حياته قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر:67].

وتعد الشيخوخة آخر مرحلة يمر بها وهي فترة تراجع في جسم الإنسان، وتبدو علامات النقص في حيوية أعضاء البدن المختلفة، وبتجمع العيوب يظهر ضعف الخلية في إنتاج البروتينات الصحيحة، وعند التراجع من قبل هذه البروتينات تبدو علامات الشيخوخة، ومن علامات الشيخوخة التي تعنينا حسب ما جاء في الآيات السابقة من بداية السورة الكريمة، هي ضعف العظام وشيب الشعر، لأنهما العلامة الدالة على عدم القدرة على الإنجاب عند كبار السن.

ويعود ضعف العظام عند الشيخوخة إلى نقص في فيتامين د وخلل في بناء الخلايا العظمية، مما يوصل إلى ضعف في امتصاص الكالسيوم، وبهذا يزيد هرمون (جار الدرقية)[6]، وبه تزيد كمية الهدم ونقص كمية العظام، ويمتاز الرجل بهرمون الذكورة الذي يساعد في نقص في كمية العظام، وإن كان هذا الهرمون يساوي في تنشيطه خلايا البناء تأثير الكورتيزون السلبي الذي يمنع من فعالية خلايا البناء، فإن هرمون الذكورة عند الشيخوخة يفتح الطريق للتأثير السلبي

---

(1) ينظر: المصدر السابق نفسه.
(2) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج18، ص143.
(3) البغوي، **معالم التنزيل**، ج5، ص218.
(4) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج5، ص211.
(5) ينظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص489.
(6) هي غدد صماء صغيرة في عنق الإنسان وغيره من الكائنات رباعية الأطراف التي تنتج هرمون جار درقي، والهرمون الدريقي أحد الهرمونات التي تصنعها الغدة الدرقية ولها دور رئيسي في تنظيم كمية الكالسيوم في الدم وداخل العظام؛ ينظر: **https://ar.wikipedia.org/wiki**

المحبط لبناء العظام، فتستقل خلايا الهدم بنخر العظام، فتمنع خلايا البناء من مواجهتها بالتعويض بسبب اختفاء هرمون الذكورة ومجيء الكورتيزون[1].

3- الشيب: قال تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: 4]، أما ظهور الشيب فهي علامة من علامات تقدم الإنسان في العمر، بحيث تصل نسبة الشيب في عمر الخمسين إلى 50% عند بعضهم، ويصاحب خسارة مادة التلوين داخل الخلية الملونة للشعر، كما أنها تتناقص في كل سنة 1%، وكذلك الخوف والقلق يزيد من بياض شعر الرأس، كما أن الجهاز العصبي الودّي يعمل على ظهور الشيب عند الانفعالات، ولا شك أن المصائب النفسية تُسرّع بمطلع الشيب كما عبر عنه القرآن بالاشتعال[2].

4- الخوف: قال تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ [مريم: 5]، إن الخوف المتزايد يوصل إلى حدوث انفعالات تؤدي إلى إفراز الكورتيزون بشكل عالي من جانب الغدة الكظرية، كما أن حالات الخوف والقلق المتواصل تصل إلى نفس درجة أورام الغدة الكظرية، ويمتنع بناء العظم مع تزايد الهدم بسبب مفعول الكورتيزون[3].

5- الشيخوخة وضعف الخصوبة: قال تعالى: ﴿امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ [مريم:5]، يؤثر التقدم في السن من 60 سنة فما فوق على الذكور في إنتاج الحيوانات المنوية، وتضعف الخصوبة والقدرة على الإنجاب، كما أن الهرم يصيب غالبية الأنسجة في الجسم[4].

كذلك العقم عند المرأة: هو نظام من الارتباكات تحصل للإناث، لدوافع عديدة قد تكون معلومة أو غامضة، تنقص خصوبة النساء بشكل خلقي بداية من سن 30 تقريبا، عندما يقع نقصان في مستوى ونوعية البويضات. وبينت الدراسات أن امرأة من بين كل سبع نساء تتراوح أعمارهن بين 30 و34 سيكون لديهن خلل في الحمل. بين 35 و39 تتحول النسبة إلى واحدة بين كل خمس نساء، وعندما تصل المرأة إلى ما بين 40 و45 عام تصبح النسبة واحدة بين كل أربع نساء[5].

وخلاصة ما توصل إليه الباحث من هذه الأمور الطبية التي ذكرناها أعلاه، أن الأعراض التي ذكرت في بدايات سورة مريم؛ وهي وهن العظم، شيب الرأس، الكبر، الخوف، وضعف الخصوبة، تمثل أسس لعلاقة هرمونية متلائمة وإن هذه الأعراض اختيرت دون غيرها

(1) ينظر: **الإعجاز العلمي في سورة مريم، https://chababna.ahlamontada.net/t263-topic**
(2) ينظر: المصدر نفسه.
(3) ينظر: المصدر نفسه.
(4) ينظر: المصدر نفسه.
(5) ينظر: العقم عند المرأة/ **https://ar.wikipedia.org/wiki** .

من الأعراض الأخرى للشيخوخة بسبب وجود هذا الهرمون الذي يتحكم بهذه الأعراض المذكورة في مجموعة متناسقة وعقلانية وهي النداء الخفي الذي جاء في بداية السورة على لسان سيدنا زكريا –عليه السلام- بوهن العظم ثم اشتعال الرأس بالشيب، وبعدها تطرق للخوف الذي ينتج عنه وهن العظم بسبب ارتفاع هرمون الكورتيزون الذي يزيد عند التوتر والقلق المستمر، مما يؤدي إلى نقص في الخصوبة، أما شيب الرأس فقد عبر عنه القرآن (واشتعل الرأس شيبا) ولا يوجد أسرع من اشتعال اللهب وخروج الضوء، والشيب يظهر بسبب التوتر حيث يحصل ظهور مواد مفسدة لأنسجة التلوين من النهايات العصبية في الشعر، وكذلك ينتج إفراز في الخصية يؤذي في تحضير الحيوانات المنوية، وكلا الهرمونين يزدادان في ظروف التوتر بسبب نقص الإنزيم الذي يتولى عادة دمارها بعد الإفراز ليستمرا في الحد الطبيعي، والحصيلة هي زيادة في هرمون التوتر وهرمونات أحادية الأمين، ونقص هرمون الشيخوخة وهرمون المنشط لخلايا التلوين كلها مضرة في انتاج الحيوانات المنوية، وإن كان تعطيل هذا الإنتاج بعامل واحد؛ فكيف بالعوامل الأربعة التي اجتمعت معاً تحت تأثير الشيخوخة والخوف؛ إضافة إلى ذلك عقم زوجته فيتعذر الانجاب، ولكن قدرة الله فاقت كل الأسباب، بأن أرشده إلى النداء الخفي بأن يرزقه الولد، وتحققت المعجزة الكبرى بمجيء يحيى –عليه السلام- مع وجود العوامل الأربعة التي ذكرناها أعلاه.

وبهذا نلاحظ دقة الألفاظ والأسلوب البليغ في بداية سورة مريم، متوجة بإعجاز علمي متوافق بين الأعراض المذكورة، فمن يستطيع أن يأتي بهكذا إبداع وأسلوب بلاغي؛ غير المولى –سبحانه وتعالى-، حيث جاء القرآن بهذه المعلومات المخفية على لسان النبي محمد –صلى الله عليه وسلم- وهو رجل أمي لا يعرف القراءة والكتابة، ومن أجل ذلك كله يبين لنا نحن البشر أننا لم نسبق القرآن بهذه العلوم، بل القرآن هو من سبقنا قبل 14 قرناً من الزمن، والله –جل وعلا- أذن لنا أن نتعلمها ونتعرف على مكنوناتها، وذلك بعد بذل الجهود والعمل المتواصل بالإضافة إلى تطور الأجهزة العلمية، وصدق ربنا القائل: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:53].

المطلب الثاني: الإعجاز الطبي في قصة سيدتنا مريم.

من خلال النصوص القرآنية الواردة في سورة مريم، والتي تحدثت عن السيدة مريم وحملها بعيسى –عليه السلام- من غير زواج، لأن المرأة لا يمكن أن تنجب من غير زواج شرعي أو شبهة، وهذا ما أثبته الطب قديماً وحديثاً، ولكن شاءت القدرة الإلهية أن تحدث هذه المعجزة لمريم إكراماً لها، وقد اصطفاها الله –سبحانه وتعالى- على نساء العالمين، وقد أرشد الله –سبحانه- مريم –عليها السلام- وقت حملها بعدة تعاليم توافق حالتها، والأعجب من ذلك أن العلم الحديث أثبت صدق هذه التعاليم الربانية، وأثرها على الأم وطفلها.

وسنتحدث عن قصة سيدتنا مريم –عليها السلام- أثناء فترة الحمل، وما لاقته من همٍّ وغمٍّ وحزن، فبماذا أرشدها الله –سبحانه- أن تفعل في محنتها هذه؟ وكيف نظر الطب الحديث إلى هذه التوجيهات الربانية؟ لنتدبر الآيات القرآنية المرشدة بقوله تعالى: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (23)... فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [مريم: 23-26]، فحملت بعيسى وقد أصابها من الحزن الشديد ما أصابها، فكيف لا يصيبها الحزن وهي تحمل طفلاً إلى قومها وهي الطاهرة المطهرة؟ وماذا ستبرر لقومها عن ذلك وهي لم تتزوج؟ لكن المولى –سبحانه- لم يتركها في محنتها هذه لوحدها، بل أرشدها بقوله: (أَلَّا تَحْزَنِي) لأن الحزن يؤثر على الجنين، كما أن الرياضة والحركة مفيدة للأم، وهذا ما أمرها الله به بقوله: (وَهُزِّي)، وكذلك أمرها بأكل التمر لما فيه من فوائد غذائية، كما أن التمر يحتوي على عناصر غذائية مفيدة، كما يعلم أن الحالة النفسية لها تأثيرها المباشر على الجنين لما يسببه من تشوهات خَلقية، فأوحى المولى –سبحانه- إليها بأن تفرح بقوله: (وَقَرِّي عَيْنًا).

وبهذا اتفق العلم الحديث مع التعاليم الربانية، مما يدل على أن القرآن معجز وهو من عند الله، وقد نزل على النبي محمد –صلى الله عليه وسلم- وهو ليس من تأليفه كما يزعمون، ولو كان من تأليفه لما توافق مع العلم الحديث[1].

وبانتقالنا إلى العلم الحديث نجد أن ثمة دراسات بريطانية حديثة تثبت أن الحالة النفسية تؤثر على الجنين، كما أن المرأة إذا واجهت الضغوط النفسية خلال مدة الحمل، من المحتمل أن يجعل الطفل أكثر تعرضاً للإصابة بالربو.

---

(1) ينظر: مقالة بعنوان (الحزن يزيد من خطر الموت)، الدكتور: عبد الدائم الكحيل، **.http://www.kaheel7.com/ar/index.php**

كما أثبتت دراسات أخرى أن الضغوط النفسية للأم الحامل تؤثر على الجنين وقد يصاب بتشوهات خلقية، وكذلك تأثيرها الكبير على مستوى الذكاء.

أما التمر فيحتوي على السكريات والبروتينات بنسبة 85 بالمائة، وكذلك فيتامين (ج) والأحماض الأمينية التي تحفز التفاعلات الكيميائية، بالإضافة إلى الدهون والألياف التي يحتويها؛ وبما أنه مكمل غذائي للأطفال لما فيه من السكريات اللازمة التي تولد الطاقة لدى الأطفال، فقد دعت دراسات مصرية إلى جعله غذاءً أساسياً للأطفال.

كما أثبتت دراسات أخرى أن الرطب أو التمر له تأثير بالوقاية من السرطان وتسوس الأسنان وينشط البصر، وبما يمتاز به باحتوائه مادة ملينة ومسهلة، فهي لازمة للمرأة الحامل قبل الوضع، لينظف الأمعاء والقولون ويسهل عملية الوضع، كما يحث العلم الحديث أن تستمتع الأم بوضع نفسي جيد، وأن تكون مستبشرة وتتجنب أي شكل من أشكال الشجن والأسى.

وبعد ما استعرضناه من هذه الدراسات الحديثة التي لا نشك في مصداقيتها، وبهذا يمكننا القول إن العلم الحديث قد وافق القرآن الكريم[1].

وخلاصة ما سبق: وجد الباحثون أن الحزن يؤثر على الجنين، ولأجله أرشد –سبحانه- مريم –عليها السلام- بعدم الحزن، فقال لها: (أَلَّا تَحْزَنِي)، وكذلك أثبتوا أن الرياضة والحركة البسيطة نافعة للأم وجنينها، ولذلك أمرها الله بالحركة وعدم الجلوس بل تمارس الرياضة بقوله: (وَهُزِّي)، كما ينصح العلماء بتناول حبات التمر للأم الحامل وتمتعها بالسعادة، فأمر المولى – سبحانه وتعالى- مريم بذلك فقال: ﴿ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾ [مريم:26].

وبهذا نرى المعجزة الربانية بتناسق آيات الله مع العلم الحديث، وأن القرآن قد بلغ أعلى درجات البيان والإعجاز، وأنه منزل من خبير عليم.

(1) ينظر: مقالة بعنوان (الاعجاز الطبي في سورة مريم)، **https://adlat.net/showthread.php.**

الخاتمة

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على من لا نبي من بعده، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه حزبه وجنده.

فمن خلال دراستي لهذا الفن العظيم، والتناسق المتين في سورة مريم –عليها السلام- فقد خضت غمار هذا البحر العميق ولا زلت مبتدئة فيه، فمن خلال توجيهات الأستاذ المشرف جزاه الله عني خير الجزاء خرجت بنتائج طيبة:

- جاءت سورة مريم للرد على الذين اتهموا سيدتنا مريم بالبهتان العظيم في حقها وحق ابنها –عليهما السلام-.
- سورة مريم مكية، حيث جاءت لإثبات وحدانية الله وتنزيهه –سبحانه وتعالى- عن الولد والشريك، وإثبات عقيدة البعث والنشور.
- ذكرت سورة مريم مجموعة من قصص الأنبياء وقد استغرق الحديث عن هؤلاء الرسل الكرام حوالي ثلثي السورة، مبتدئةً بقصة نبي الله زكريا –عليه السلام- وكيف وهبه الله على الكبر ابنه يحيى –عليه السلام- وامرأته عاقر لا تلد.
- وقد أعقبها بذكر قصة أعجب وأغرب منها وهي قصة مريم وانجابها لطفل من غير أب، لتظل آثار القدرة الإلهية والمعجزة الربانية قائمة أمام الأبصار بعظمة الواحد القهار.
- نجد صفة الرحمة في سورة مريم بصورة كبيرة، حيث نستشعر آثارها في كل آية من آياتها ونلمسها في كل معنى من معانيها، وكأنها كنز غزير الرحمات.
- من خلال التناسب بين موضوعات السورة نجد أن القرآن الكريم كله كاللحمة الواحدة، يكمل بعضها بعضا فكل سورة تخدم السورة التي قبلها وبعدها في تناسب عجيب، دلالة على أن القرآن منزل من حكيم حميد.
- تبدأ سورة مريم بتلك الحروف المقطعة، التي توحي بأن هذا القرآن عربي متكون من تلك الحروف، وهو متنوع بأساليبه، حيث تجلت القدرة الإلهية حينما تختم السورة بهذا اللسان العربي المبين.
- تناسب مقاطع السورة وكأنها فلك واحد تدور في سلك منتظم.

- كما نجد ثمة تشابه بين سورة مريم وبعض سور القرآن، كتشابه سورة مريم مع سورة النور من حيث البهتان العظيم.

- لاحظت وجود معجزة تاريخية مبهرة، وهو التفصيل الدقيق الذي أخبر به النبي –صلى الله عليه وسلم- رغم الحقبة المديدة التي بينه وبين الأنبياء الذين ذكروا في سورة مريم، وكأنه يعيش معهم.

- من خلال وقوفنا أمام أهم مواطن دلالات وأساليب الألفاظ في سورة مريم، نقول: أنها تدعو المتلقي إلى زيادة التدبر والتفكر للكشف عن خباياها.

- إن القرآن الكريم هو كتاب الله المعجز الذي أحكمت آياته ورتبت بشكل عجيب من أحكام في السرد، ودقة في السبك، ومتانة في الأسلوب، متصل بعضه ببعض، كأنه عقد منتظم تلاءمت حروفه، وتناسقت كلماته وجمله وآياته، وتلاحم بعضها ببعض، حتى جاء أوله متناسقا مع آخره متآلف مع أوله في نظام لا يرقى إليه أي كلام أو نظم.

التوصيات

1.مطالعة كتب التفسير ودراستها بعناية للخروج منها بنتائج قيمة فيما يخص موضوع التناسب.

2. ينبغي على طلبة العلم الاتجاه لدراسة علم التناسب وتغطية جميع جوانبه من خلال كتابة البحوث والرسائل.

وأخيرًا: ما قدمت إلا جُهد المقلّ، فما كان فيه من صواب فمن فضل الله عليَّ وتوفيقه، وما كان فيه من خطأ وخلل فمن نفسي والشيطان. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا وحبيبنا محمد –صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن الأثير، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت: 637هـ)، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، الفجالة، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن الزبير، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (ت: 708هـ)، **البرهان في تناسب سور القرآن**، تحقيق: محمد شعباني، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1410هـ -1990م.

ابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (ت: 181هـ)، **الزهد والرقائق لابن المبارك**، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت، دار الكتب العلمية.

ابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: 741هـ)، **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، 1416هـ، ط1.

ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852 هـ)، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، الهند، حيدر أباد، مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1392 هـ، ط2.

ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار الفكر.

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: 241هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط -عادل مرشد، وآخرون، 1421 هـ -2001 م، ط1.

ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت 230 هـ)، **الطبقات الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، 1410هـ، ط1.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت:1393هـ)، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر - تونس، 1984 هـ.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت:542هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، لبنان، دار الكتب العلمية، 1413هـ، 1993م، ط1.

ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا، (ت: 395ه) **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر،1399هـ - 1979م، ط1.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، **قصص الأنبياء**، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، القاهرة، مطبعة دار التأليف، 1388 هـ -1968 م، ط1.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت:774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ - 1999 م، ط2.

ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت 213هـ) **السيرة النبوية لابن هشام**، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر 1375هـ - 1955م، ط2.

أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت: 1224هـ)، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، القاهرة، الدكتور حسن عباس زكي، 1419 هـ.

أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: 681 هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر.

أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرز، **المغرب في ترتيب المعرب**، تحقيق: محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، حلب، مكتبة أسامة بن زيد، 1979، ط1.

أبو الفداء، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، (ت: 1127هـ)، **روح البيان**، بيروت، دار الفكر.

أبو الفلاح، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، (ت: 1089هـ)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، 1406 هـ، ط2.

أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: 745هـ)، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر، 1420 هـ.

أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (ت: 1394هـ)، **المعجزة الكبرى القرآن**، دار الفكر العربي.

أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (ت: 1394هـ)، **زهرة التفاسير**، دار الفكر العربي.

أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو (ت: 444هـ)، **البيان في عدّ آي القرآن**، تحقيق: غانم قدوري الحمد، الكويت، مركز المخطوطات والتراث 1414هـ-1994م، ط1.

أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: 395هـ)، **الصناعتين**، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العنصرية، 1419هـ.

أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (ت: 773 هـ)، **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، بيروت، لبنان، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1423 هـ - 2003 م، ط1.

الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (ت:370هـ)، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2001م، ط1.

الإعجاز العلمي في سورة مريم، https://chababna.ahlamontada.net/t263-topic

الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت: 1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415هـ، ط1.

الباقلاني، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (ت: 403هـ)، **إعجاز القرآن للباقلاني**، تحقيق: السيد أحمد صقر، مصر، دار المعارف، 1997م، ط5.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، 1422هـ، ط1.

البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: 256هـ)، **التاريخ الكبير**، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (ت 885 هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي.

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (ت: 885هـ)، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، الرياض، مكتبة المعارف، 1408 هـ -1987 م، ط1.

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: 685هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1418 هـ، ط1.

البيهقي، أحمد بن الحسن بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت:458)، **شعب الإيمان**، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، الرياض، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، 1423هـ-2003م، ط1.

التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت 1158هـ)، **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تحقيق: د. علي دحروج، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، 1996م، ط1.

التويجري، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، **موسوعة الفقه الإسلامي**، بيت الأفكار الدولية، 1430 هـ - 2009 م، ط1.

الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، (ت: 255هـ)، **البيان والتبيين**، بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1423 هـ.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، (ت: 471هـ)، **درج الدرر في تفسير الآي والسور**، محقق القسم الأول: طلعت صلاح الفرحان، محقق القسم الثاني: محمد أديب شكور، عمان، الأردن، دار الفكر، 1430هـ- 2009م، ط1.

الجرجاني، أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، تحقيق: د.محمد التنجي، بيروت، دار الكتاب العربي، 1995،ط1.

الجناجي، حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق (ت: 1429 هـ)، **البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع**، القاهرة-مصر، المكتبة الأزهرية للتراث، 2006 م، ط6.

الجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين.

الحجازي، محمد محمود الحجازي، **التفسير الواضح**، بيروت، لبنان، دار الجيل الجديد، 1413هـ.

الحنفي، إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين (ت: 943 هـ)، **الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم**، *تحقيق:* عبد الحميد هنداوي، بيروت- لبنان، الكتب العلمية.

حوى، سعيد حوّى (ت: 1409 هـ)، **الأساس في التفسير**، القاهرة، دار السلام، 1424 هـ، ط6.
الخطيب، عبد الكريم يونس، (ت: 1390هـ)، **التفسير القرآني للقرآن**، القاهرة، دار الفكر العربي.
الدسوقي، محمد بن عرفة الدسوقي، **حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني** (ت: 792 هـ) **[ومختصر السعد هو شرح تلخيص مفتاح العلوم لجلال الدين القزويني]**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت، المكتبة العصرية.
الدمشقي، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، 1419 هـ -1998 م، ط1.
الديب، د. محمد، جراح العظام بمستشفى جدة الأهلي بجدة، مقال بعنوان (قراءة علمية وإعجازية في وهن العظام عند الرجال)، رابطة العالم الإسلامي،
https://www.eajaz.org/index.php/Scientific-Miracles/Medicine-and-Life-Sciences.
ديب، محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، **علوم البلاغة**، لبنان- طرابلس، المؤسسة الحديثة للكتاب، 2003م، ط1.
الديواني، علي بن أبي محمد بن أبي سعد بن الحسن الواسطي (663 -743 هـ)، **روضة التقرير في اختلاف القراءات بين الإرشاد والتيسير**، أبو مازن محمد بن رجب الخولي، الرياض - المملكة العربية السعودية، العاصمة للنشر، 1432 هـ 2011 م، ط1.
الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت: 748 هـ)، **سير أعلام النبلاء**، القاهرة، دار الحديث، 1427هـ.
الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت: 748هـ)، **معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار**، دار الكتب العلمية، 1417 هـ- 1997م، ط1.
الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ)، **مفاتيح الغيب**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1420هـ، ط3.
الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف (ت: 502هـ) **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دمشق، بيروت، دار القلم، الدار الشامية، 1412 هـ، ط1.

الزحيلي، وهبة بن مصطفى الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دمشق، دار الفكر المعاصر، 1418هـ، ط2.

الزرقاني، محمد عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، بيروت، دار الفكر، 1996، ط1.

الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم بيروت، دار المعرفة، 1391هـ، ط1.

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد علي بن فارس، (ت 1396هـ)، **الأعلام**، دار العلم للملايين، 2002م، ط15.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، بيروت، دار الكتاب العربي، 1407هـ، ط3.

السامرائي، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل، **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل**، عمان ـ الأردن، دار عمار للنشر والتوزيع،1423 هـ - 2003 م، ط3.

سبحاني، محمد عناية الله أسد سبحاني، **إمعان النظر في نظام الآي والسور**، دار عمار.

السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد (ت: 902 هـ)، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، بيروت، دار مكتبة الحياة.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة،1420هـ -2000م، ط1.

السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت: 626هـ) **مفتاح العلوم**، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1407 هـ - 1987 م، ط2.

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت: 373هـ)، **بحر العلوم**، تحقيق: د. محمود مطرجي، بيروت، دار الفكر.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: 911 هـ)، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، لبنان، صيدا، المكتبة العصرية.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت 911هـ) **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ- 1974 م.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: 911هـ)، **الدر المنثور**، بيروت، دار الفكر.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: 911هـ)، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، (بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، 1408 هـ - 1988 م، ط1)، ج1، ص52.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: 1250هـ)، **فتح القدير**، دمشق، بيروت، ابن كثير، الكلم الطيب، 1414هـ، ط1.

الصابوني، محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، دار الصابوني.

صلاح الخالدي، **القصص القرآني**، دمشق، دار القلم،1419هـ، 1998م، ط1.

العقم عند المرأة/ **https://ar.wikipedia.org/wiki**.

الشحود، علي بن نايف، **الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم**.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، **العين**، تحقيق: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، بغداد، 1985م.

الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: 817هـ)، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1416 هـ - 1996 م.

القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: 1332هـ)، **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت: 671 هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، المملكة العربية السعودية، دار عالم الكتب، الرياض، 1423 هـ- 2003 م، ط2.

القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت: 739هـ)، **الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت، دار الجيل، ط3.

القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: 465هـ)، **تفسير القشيري**، تحقيق: إبراهيم البسيوني، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3.

القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: 465هـ)، **لطائف الإشارات**، تحقيق: إبراهيم البسيوني، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3.

القطان، مناع بن خليل القطان (ت: 1420هـ)، **مباحث في علوم القرآن**، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1421هـ- 2000م، ط3.

الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (ت: 333هـ)، **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، تحقيق: د. مجدي باسلوم، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية،1426هـ - 2005م، ط1.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (ت: 450هـ)، **النكت والعيون**، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية.

مجلة الشريعة.

المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ)، **تفسير المراغي**، نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1365 هـ -1946 م، ط1.

المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت: 458هـ)، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1421هـ - 2000 م، ط1.

المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (ت: 742هـ) **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق: د. بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1400 هـ– 1980م، ط1.

مسلم، مصطفى مسلم، **مباحث في إعجاز القرآن**، دمشق، دار القلم، 1426 هـ، 2005 م، ط3.

مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشر الازدي البلخي (ت:150هـ)، **تفسير مقاتل**، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، بيروت، دار احياء التراث،1423هـ، ط1.

مقالة بعنوان (الاعجاز الطبي في سورة مريم)، **https://adlat.net/showthread.php.**

مقالة بعنوان (الحزن يزيد من خطر الموت)، الدكتور: عبد الدائم الكحيل، **http://www.kaheel7.com/ar/index.php.**

المقري، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، بيروت، المكتبة العلمية.

المؤيد بالله، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي (ت: 745هـ)، **الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، بيروت، المكتبة العنصرية، 1423ه، ط1.

الناصري، محمد المكي (ت: 1414هـ)، **التيسير في أحاديث التفسير**، بيروت ـــ لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1405 هـ - 1985 م، ط1.

النجار، زغلول النجار، **من آيات الإعجاز الإنبائي والتاريخي في القرآن الكريم**، لبنان، بيروت، دار المعرفة، 1434هـ - 2013م، ط1.

النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت: 733هـ)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، 1423 هـ، ط1.

الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى (ت: 1362هـ)، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، تحقيق: د. يوسف الصميلي، بيروت، المكتبة العصرية.

السيرة الذاتية

- هدى عبد الله علي الشعباني، ولدت في العراق في مدينة الضلوعية، في محافظة صلاح الدين، بتاريخ 25/ 10/ 1984.
- تلقت تعليمها الابتدائي والثانوي والإعدادي في مدارس المدينة.
- تخرجت من كلية التربية، قسم علوم القرآن، جامعة تكريت، سنة 2011م.

ÖZ GEÇMİŞ

HUDA ABDULLAH ALI, Bağdat kuzeyinde, Selahattin iline tabi Edduluiye kentinde 25.10.1984 yılında doğmuştur.

İlk, orta ve lise öğretimi Edduluiye okullarında almıştır.

2011 yılında Tikrit üniversitesi – Kuran Bilimleri bölümünden mezun Eğitim Koleji'nden.